جميع حقوق الطبع والنشـــر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

رجب ١٤٣٢هـ- يونيه ٢٠١١م

عنوان الكتاب	بناء البيت الإسلامى
المـــؤلـــف	السيد أحمد علاء الدين ماضى أبو العزائم
النـــاشــــر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفـــون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيـــداع	٢٠١١/٨٧٢١م
الترقيم الدولى	٤ - ٨٥ - ٥٢٧٣ - ٩٧٧

إهداء

إلى من جاب المشارق والمغارب
دفاعًا عن كل مسلم مستضعف فى كل مكان
إلى من كان أبًا حنونًا ومعلما ودودًا لكل متعلم
وسيفًا بتَّارًا على رقبة كل متطرف وخارج عن منهج الإسلام
إلى من كان يقول الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم
إلى سيدى الإمام سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم رضي الله عنه
سليل أهل البيت الطاهرين
أهدى إلى مقامك العلى كتاب
(بناء البيت الإسلامى)

سيدى عز الدين

لقد وهبت نفسك ومالك للجهاد والعمل من أجل هذا الدين.

لقد وقفت فى ميدان الدعوة لكى تحارب خوارج هـذا العـصر فظهـ كلماتك فى مؤلفاتك، ظهرت كلمات من نور فى كتاب (إسلام الصوفية هـ الحل لا إسلام الخوارج) وكتاب (أيها القرنيون هـلا فقهـتم)، وأصـد مجلة (الإسلام وطن) لتكون سلاحًا لمحاربة الفكر المتطرف، ولنشر الف الوسطى فى كل أنحاء العالم.

لقد أردت أن تجمع وتنشر دعوة الإمام المجدد السيد محمد ماضـى أب العزائم؛ فلم تغفل لك عين، ولم تطب لك نفس إلا وقد فعلت بصدق عزي وكمال يقين، فعلوت بالدعوة فى جميع أنحاء البلاد.

كما قمت مرحبًا بكل صاحب فكر وسطى بعيد عن فكر الغلاة والبغاة، فطبعت بعض كتب العارفين والصالحين ليعم النفع وينشر العلم.

لقد حملت الأمانة فأديتها، ومنحت علوم الرسالة فبلغتها، فظهرت تلك العلوم والآداب فينا.

ظهرت فينا الأخوة والمحبة والعطاء والكرم وصلة الرحم، ظهرت فينا طاعة الله وحب سيدنا رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

لقد ربيت رجالاً فى الدعوة قادرين على إظهار الإسلام فى أبهى صوره.

هذا كله بفضل الله وبفضل سيدى عز الدين ماضى أبى العزائم.

فكنت يا سيدى عملاقًا لدعوة جدك الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم.

وكنت وستظل عزًا للدعوة الإسلامية، كما كانت حياتك عزًا لدعوة جدك الإمام فهذا هو نهجك، وسيظل آل العزائم ينهجون هذا النهج، فإن الطريق الذى رسمته سنظل سائرين عليه إن شاء الله.

لقد جف القلم، ونفدت الصحف، وماذا عساى أن أكتب عن سيدى وإمامى ووالدى السيد عز الدين ماضى أبى العزائم.

نسأل الحق تبارك وتعالى أن يجمعنا عليك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أحمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

الافتتاحية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَرْسَلَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، ودَعْوَةٍ مُتَلافِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ المَجْهُولَةَ، وقَمَعَ بِهِ البِدَعَ المَدْخُولَةَ، وبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ المَفْصُولَةَ. فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ.. ويَكُونُ مَآبُهُ إِلى الحُزْنِ الطَّوِيلِ، والعَذَابِ الوَبِيلِ.

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مَن بُعِثَ بِالنُّورِ المُضِىءِ، والبُرْهَانِ الجَلِىِّ، والمِنْهَاجِ البَادِى، والكِتَابِ الهَادِى.. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وثِمَارُهَا مُتَدَلِّيَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ، وأَضَاءَتْ بِهَا شُمُوسُ الهِدَايَةِ، وتَجَمَّلَتْ بِهَا قُلُوبُ أَهْلِ الاصْطِفَاءِ.. وَاسِطَةِ رُسُلِكَ الكِرَامِ، وشَجَرَةِ زَيْتُونِ التَّشْبِيهِ لِمَنْ خَصَّصْتَهُمْ لِشُهُودِ جَمَالِكَ.. سَيِّدِنَا ومَوْلانَا مُحَمَّدٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ عَلَيْهِ وآلِهِ ووَرَثَتِهِ صَلاةً تُنَوِّرُ بِمَحَبَّتِكَ قُلُوبَنَا، وتُنَوِّرُ بِمَعْرِفَتِكَ أَلْبَابَنَا، وتُلَيِّنُ بِالقِيَامِ لِطَاعَتِكَ أَبْدَانَنَا، وأَنْ تَمْنَحَنَا رِضَاكَ الأَكْبَرَ، وحِفْظَكَ الأَكْبَرَ، ووُسْعَتَكَ الكُبْرَى، وعِنَايَتَكَ العُظْمَى، ورَحْمَتَكَ الوَاسِعَةَ، وأَهْلَنَا وإِخْوَانَنَا، وأَحْبَابَنَا أَيْنَ كَانُوا، وكَيْفَ كَانُوا، وفِى أَىِّ زَمَانٍ كَانُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.. آمِينَ يَا رَبَّ

العَالَمِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

إن الأسرة هى نواة المجتمع، وهى النبتة الأولى فى بناء المجتمعات، ولا يصح الحديث عن المجتمعات أو الأمة دون الحديث عن الأسرة، لأن الأمة قامت من الأسرة ثم القبيلة، ولا يمكن إصلاح المجتمع دون إصلاح الأسرة، فالأسرة هى الأصل وهى الرافد، أى أن المجتمع عبارة عن جموع الأُسر التى تشكله، ولا يمكن للمجتمع أن يكون أفرادًا بدون أُسر، ففى هذه الحالة سيتناقص عدد أفراده حتى يفنى، وخلاله تكون الجموع التى تشكله عبارة عن أفراد لا قيمة لهم ولا اعتبار، أى مجموعة من الصعاليك الذين لا هَمَّ لهم سوى إشباع غرائزهم وحاجاتهم بصورة غير شرعية تهدم أركان الدولة فى نهاية الأمر، وتلك هى الخطورة، والأمثل فى كل ذلك هو بناء أسرة مستقرة مزدهرة، يقوم فيها كل فرد بما يتناسب مع دوره، فهناك الرجل يسعى للرزق على أسرته، وهناك الأم التى تنجب الأطفال وترضعهم وترعاهم حتى يبلغوا أشدهم. والأمومة بالنسبة للمرأة أسمى معانى الحب، ولا يمكن أن يعوض الأم أى شىء عن أمومتها، وداخل الأسرة هناك حقوق لكل طرف من أطرافها.

إن الحقوق داخل الأسرة متساوية بفعل تساوى الأصل الإنسانى، فالمرأة مثل الرجل فى الحقوق والواجبات، ولا يمكن القول بأن الرجل أفضل من المرأة لأنه رجل،

فالأفضلية تقوم على أساس الإنفاق وعلى مدى قيام كل منهما بواجباته المكلف بها، وفى نفس الوقت هناك فروق بينهما لا تقلل من تلك المساواة، فالله خلق الرجل وخلق المرأة لتعمر الدنيا بنسلهما، على الرغم من الفروق (البيولوجية)، والمواصفات التى تمكن كل منهما من أن ينهض بدوره، فالله تعالى اقتضت حكمته أن تكون المرأة فى العام أضعف بنية من الرجل، وجعلت الرجل فى ذلك أقوى من أجل أن يتحمل الأعمال الشاقة، كما أعطى المرأة قدرة من جانب آخر، فى تحمل مشاق الحمل والرضاعة والتربية، وبذلك، فإن الله الخالق أودع فى كل منهما ما يلائم طبيعته الأصلية المخلوق بها، ولذا فإن تكليف المرأة بعمل الرجل أو تكليف الرجل بعمل المرأة فيه اعتداء عليهما معًا، ويمكن القول: إن أعظم وظيفة للمرأة هى وظيفة الأمومة.

وتُجْمِعُ كُلُّ الثقافات، بل وكل الدراسات الحديثة والمعاصرة على أن أقوى الأسر هى التى تنشأ أطفالها فى رعاية أمومة طبيعية، وفى علاقة زواج يقوم على السكينة والمودة والرحمة كما حددها القرآن الكريم.

نشأة الأسرة

يذهب علماء الاجتماع إلى أن نشأة الأسرة بدأت من أول حالة تزاوج بين آدم وزوجه، وأن نشأة الدول النشأة

الطبيعة، جاءت – إضافة إلى هذه العلاقة الطبيعية – نتاج الحاجة إلى التعاون، ووجود عرف، أو ما يشبه القانون العام الذى يكفل عدم الاعتداء، وتنظيم هذا التعاون لمصلحة الجميع.

وقد أكد القرآن الكريم على أن الأصل فى خلق كل المخلوقات هو الأسرة، وجعل من المكون الأول للأسرة، أى: الرجل والمرأة، نفسًا واحدة، ومن تلك النفس الواحدة تتفرع الأسرة إلى أسر وعائلات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، وهذا دليل على أن الأسرة تكونت منذ البداية من زوجين ذكر وأنثى، وأن الكون عمّره نسل هذين الزوجين، أى: آدم وزوجه عليهما السلام، ولا يقتصر الأمر فى الأسرة على الإنسان، فمن القوانين الإلهية فى هذا الكون أنه سبحانه خلق كل شىء فيه مبنيًا على زوجين اثنين: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، ويتم نظام الكون بالتوافق والتكامل بين هذين الزوجين؛ فى المكان والزمان، وفى النبات، وفى الحيوان، وفى الإنسان؛ فيتم نظامه ويقوم كيانه على التوافق والتكامل بين هذين الزوجين، ففى المكان: يوجد أعلى يقابله أسفل، وداخل يقابله خارج، وشرق يقابله غرب،

وشمال يقابله جنوب، وفى الزمان: ليل يقابله نهار، وظلمة يقابلها نور، وموجب يقابله سالب، فكل المخلوقات عبارة عن ذكر وأنثى، لأن عملية التزاوج هى الأصل فى بناء الأسر فى سائر مخلوقات الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾ (النجم: ٤٥)، وسبحانه القائل عن حكمته: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤)، وقد أمر نبيه نوحًا عليه السلام أن يحمل فى سفينته من كل شىء زوجين اثنين: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (هود: ٤٠).

التكامل بين المرأة والرجل

إن خلق الإنسان كما جاء بالقرآن الكريم مر بمراحل متعددة، أولها الذى أثبته الخالق هو التراب، ثم من التناسل بالتزاوج بين الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: ١١)، فكل من الزوجين فى كل هذه الأشياء يقابل الآخر، وله مهمة غير مهمة الآخر، وبالتوافق والتكامل بين هذه الأزواج يقوم نظام الكون، ولو اختلطت مهماتها لفسد نظام هذه الأزواج واختل كيانها، فسبحانه ما أعظم قدرته وأعظم حكمته. وهذه الحقيقة الكونية ليس هناك عاقل يجهلها؛ فالنهار له طبيعة غير طبيعة الليل، والرجل له مهمة غير مهمة المرأة، فالنهار للسعى والحركة، وطلب

الرزق، والليل للسكون والراحة؛ والإنسان فى يوم حافل بالسعى والحركة والعناء والمشقة بحاجة إلى فترة من الراحة يلتقط فيها أنفاسه ويجدد قوته وهمته، كما أن الرجل للسعى والحركة وطلب الرزق والضرب فى مناكب الأرض ابتغاء فضل الله، وإدارة الصراع بين قوى الخير وقوى الشر، والمرأة للأسرة، فهى السكن للرجل، يأوى إليها الرجل بعد يوم حافل بالمشقة والعناء قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ (الليل: ١ – ٤)، فهذه الأشياء المتقابلة، الليل يغشى الكون بسكونه وظلمته، والنهار يُسفر بنهاره وصبحه، قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ (يونس: ٦٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١)، وما يثار من خلاف بين الناس عن الرجل والمرأة يعود لعدم فهم طبيعة الخلق، بعض الناس يرون أن الرجل والمرأة خلقا متنافسين، ولكنهما فى الحقيقة خلقا متكاملين، أى: يكمل كل منهما الآخر، فلو أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون كله ليلاً، ما استطاع الناس الحركة ولا العمل، ولا السعى على الرزق إلا بصعوبة، ولنقرأ قول الحق جل جلاله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن

جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧١ – ٧٢)، إن مهمة الليل والنهار مهمة متكاملة، وليست متعاندة، أى: لا يعاند بعضها بعضًا، ولكن يكمل بعضها بعضًا وهذا واضح من حركة الحياة، وكذلك الرجل والمرأة خلقهما الله سبحانه وتعالى متكاملين وليسا متعاندين، وهكذا تحدد المهمة المتكاملة لكليهما.

ومن خلال التكامل بين الزوجين تنشأ الأسرة على الفضيلة والأخلاق الطيبة؛ لأن الإسلام يسعى إلى جعل الأسرة المسلمة قدوة حسنة طيبة تتوفر فيها القيادة الرشيدة قال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، فقرة العين تكون فى داخل الأسرة من خلال التكامل بين الزوجين ومعهما الأبناء، وجعل داخل الأسرة حقوقًا للزوجة والزوج والأبناء الذين سيكونون يومًا أصحاب أسر، وتلك الحقوق مختلفة عن بعضها البعض، مثل الواجبات مختلفة عن بعضها البعض، ولكن هذه الاختلافات تعود إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة. ويحرص الإسلام كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية – التى هى النواة الأولى للأسرة – على المحبة والتفاهم والانسجام، وهو الزواج المثالى الذى ينشده الإسلام فى كل العصور.

قرن تعالى وجوب التعبد له بوجوب البر بالوالدين قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣ – ٢٤).

فالإحسان إلى الوالدين قضية جوهرية، فهى من الأهمية بمكان، بحيث يبرزها القرآن الكريم – تارة – فى عالم الاعتبار بصيغة القضاء: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾، ويعتبر التعدى على حرمتها حرامًا، وهنا لا بد من التنبيه على أن القرآن الكريم وفى العديد من آياته يؤكد على الأولاد بضرورة الإحسان إلى الآباء.

وبنظرة أعمق جعل الإحسان إلى الوالدين المظهر الاجتماعى للعبادة الحقَّة، وكل تفكيك بين العبادة ومظهرها الاجتماعى، بالإساءة إلى الوالدين على وجه الخصوص، ولو بكلمة ﴿أف﴾، يعنى إفسادًا للعبادة كما تفسد قطرة الخل العسل، وبذلك يؤجج القرآن وجدان الأبناء حتى لا ينسوا أو يتناسوا جهد الآباء والأمهات فى تربيتهم والسهر على راحتهم.

واحتلت مسألة الحقوق عمومًا وحقوق الوالدين على

وجه الخصوص مساحة كبيرة من وصايا النبى الأكرم ﷺ، فقد ربط بين رضا الله تعالى ورضا الوالدين، حتى يعطى للمسألة بُعدها العبادى، وأكد بأن عقوق الوالدين هى من أكبر الكبائر، وربط بين حب الله ومغفرته وبين حب الوالدين وطاعتهما.

أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حى؟)، قال: نعم، بل كلاهما، قال: (فتبتغى الأجر من الله؟)، قال: نعم، قال: (فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما)[١].

ثم إن النبى ﷺ قد جسد هذه التوصيات على مسرح الحياة، ففى الوقت الذى كان يحث المسلمين على الهجرة ليشكل منهم نواة المجتمع الجديد فى المدينة، وفى الوقت الذى كان فيه المسلمون قلائل بالآحاد، يروى: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبوى يبكيان، فقال النبى ﷺ: (ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما)[٢].

---

(١) صحيح مسلم ٣٩١/١٢ ح٤٦٢٤.

(٢) سنن النسائى ١٦١/٧ ح٤١٧٤، وسنن أبى داود ٣٢٤/٢ ح٢٥٣٠.

مسئولية الوالدين

فى تربية الأولاد

وقد فطر الله ﷻ الناس على حب أولادهم قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، ويبذل الأبوان الغالى والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، ومسئولية الوالدين فى ذلك كبيرة، فالأبناء أمانة فى عنق والديهم، والتركيز على تربية رب المنزل أولاً، وتربية الأم بالذات فى السنوات الأُول، فقلوبهم الطاهرة جواهر نفيسة، وهم قابلون لكل ما ينقش عليها، فإن عُوِّدُوا الخير والمعروف نشأوا عليه، وسُعِدوا فى الدنيا والآخرة، وشاركوا فى ثواب والديهم، وإن عُوِّدُوا الشر والباطل، شقُوا وهلكوا، وكان الوزر فى رقبة والديهم، والوالى لهم، ويمكن القول بأن للأسرة دورًا كبيرًا فى رعاية الأولاد – منذ ولادتهم – وفى تشكيل أخلاقهم وسلوكهم، وتتباين معاملة الأسر لأولادهم فى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المعاملة القاسية: وهى تلك التى تتسم بالشدة فى التعامل كالزجر أو التهديد أو الضرب بدون ضوابط أو حدود مشروعة، أو الإهمال للأبناء بحجة ظروف العمل، فيحرم الأولاد من البر بهم والتعامل معهم.

النوع الثانى: المعاملة اللينة: وهى تلك التى يُلَبَّى فيها كل ما يطلبه الأولاد، ويُطلق عليها (التربية المدللة) والإفراط فى الدلال يؤدى إلى خلق شخصية فوضوية.

النوع الثالث: المعاملة المعتدلة: تعتمد على المزج بين العقل والعواطف، وتوجيه النصح والإرشاد، وبهذا تتكون شخصية سليمة وصحيحة، وإذا لم يستجب الأولاد بالإرشاد والتوجيه يلجأ الأبوان إلى توبيخهم ثم هجرهم ثم حرمانهم من بعض الأشياء والأمور المحببة إليهم أحيانًا، وهذا النوع من المعاملة هو المعاملة الصحيحة التى ينبغى أن تسير عليها الأسرة، فحب الطفل لا يعنى بالطبع عدم تأديبه وتعليمه آداب السلوك الاجتماعى منذ الصغر، مثل تعويده على التعامل الحسن مع أصدقائه، وتعويده على احترام من هو أكبر سنًا منه، وتعميق الرقابة الذاتية لديه، أى: قدرته على تحديد الضوابط لسلوكه تجاه الآخرين؛ فلا بد من التوازن بين التأديب للطفل والتعاطف معه، فكما أنه لا يصلح الخضوع الدائم لطلبات الطفل، فلا يصلح استمرار الضغط عليه وكبته، فالتدليل الزائد لا يُعوِّدُهُ على مواجهة صعوبات الحياة، والضغط الزائد يجعله منطويًا على نفسه مكبوتًا يعانى من الحرمان والقهر.

كما يوجد بعض الناس ليس لهم أسر، وليس لهم مورد مالى يعيشون منه، إما بسبب المرض أو الشيخوخة أو

غيرها من الأسباب التى تحدث للإنسان، وفى تلك الحالة تكون مسئولية الحاجات الضرورية لهم من مأكل وملبس ومطعم مسئولية المجتمع بأسره، وقد حرص الإسلام على ذلك الأمر حرصًا شديدًا، ولأن أكثر الناس تضررًا من عدم وجود أسرة هم الأطفال ثم الشيوخ فقد جعل الله مسئولية هؤلاء على عاتق كل المجتمع.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزى إمامنا أبا العزائم عنا خير الجزاء وأوفاه، كما أسأله تعالى أن يفقهنا فى ديننا، وأن يهدينا إلى الحق والصواب، وأن يرزقنا الإخلاص فى السر والعلن، وأن يكرمنا بالقبول، فإنه ولى ذلك والقادر عليه. وصلى الله على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين وآله الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

رجب ١٤٣٢هـ — نائب عام الطريقة العزمية

يونيه ٢٠١١م — السيد أحمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

الفصل الأول

مرحلة الاختيار

المجتمع الإسلامى منظومة متكاملة، مكونة من مجموعة من الأفراد، إذا صلحوا صلح المجتمع بصلاحهم، وإن فسدوا فسد المجتمع بهم.

وهؤلاء الأفراد هم الآباء والأمهات والأبناء، أما الآباء والأمهات فإنهم كالزرع الذى أخرج شطأه، فاستوى على سوقه، وكَمُلَ ولم يبق إلا حصاده وحفظ بذوره، فإن كانت البذور جيدة صالحة أنبتت كل حبة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة، وإن كانت ضعيفة فاسدة، استطرقها الفساد حتى لو وضعت فى أخصب أرض ما أنبتت.

أما الأبناء فإنهم النشء، وهم مستقبل الأمة فى الحقيقة، وهم الرجال العاملون بعد ذلك لخيرها ومجدها، وعلى قدر العناية بهم يكون مستقبل الدين والدنيا، والسعادة ونيل الخيرات، أما إن أهملوا ولم يجدوا التربية الصالحة، والعناية الكافية، ضاع كل شىء، بل وضاعت الأمة ذاتها.

وعلى الآباء الصالحين أن يختاروا الأمهات الصالحات، كما ينتقى المزارع الأرض الخصبة لجودة

زرعه، يقول ﷺ: (تخيروا لنطفكم)[1]، ويقول ﷺ: (انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دسَّاس)[2]، ويقول ﷺ: (إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء)[3].

إذا فُرِضَ أن رجلاً تزوج بامرأة، وكانت ناقصة الخُلُق، فعليه أن يجتهد فى أن يكمل ما نقص من أخلاقها، حتى تصير زوجة فاضلة تعينه على طاعة الله تعالى، وكما قال ﷺ: (ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)[4].

وإصلاح المجتمع الإسلامى لا يتحقق إلا بالأسرة الصالحة، فإذا أصلح الأب واختار لأولاده أُمًّا صالحة، كانت تربيتهما لأبنائهما تقوم على دعائم أربع هى:

- **تربية الجسد**: وتقوم بتوفير الغذاء والكساء والعناية

(١) سنن ابن ماجه ٣٩٠/٣ ح١٩٦٨.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٨٥٥/١٥ ح٤٣٤٠٠، ومسند الفردوس للديلمى ١٣٢/١ ح١٧٧٤.

(٣) كنز العمال للمتقى الهندى ٣٠٠/١٦ ح٤٤٥٨٧، وجامع الأحاديث للسيوطى ٤٥٠/٣٨ ح٤١٨٤٢.

(٤) سنن أبى داود ٥٠/٢ ح١٦٦٦، والمستدرك للحاكم ٣٦٢/٢ ح٣٢٨١.

بالصحة والنظافة، فقد أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (علموا أولادكم السباحة والرمى والفروسية)[1].

- **تربية القلب**: بترسيخ الإيمان بالله وحب رسول الله وأهل بيته، وتعظيم القدوة الحسنة حتى يتمثل الأبناء بهم.
- **تربية الروح**: بتزكية النفس حتى يتخلق الأبناء بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة.
- **تربية العقل**: ويأتى ذلك عن طريق الحوار بين الآباء والأبناء، وتشجيع الأبناء على القراءة بصفة عامة، وتشجيعهم على تلقى شتى العلوم والمعارف.

مراعيًا فى ذلك أنه لا فرق بين ذكر وأنثى حتى لا يفضل الآباء أحد أبنائهم على الآخر، لقول الرسول الكريم ﷺ: (اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم)[2].

وفى البداية يجب على الأبوين تعليم أبنائهما العبادة السليمة، كما ورد فى السنة النبوية، قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٤٦٧/٤ ح١١٣٨٦، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٩٢/٢٦ ح٢٨٨٧٠.

(٢) سنن النسائى ٥٧٣/٦ ح٣٦٨٩، وسنن أبى داود ٣١٧/٣ ح٣٥٤٦، ومسند أحمد ٣٩٣/٣٠ ح١٨٤٥٢.

وهم أبناء عشر، وفرّقوا بينهم فى المضاجع)(١)، ثم يغرسوا فى قلوبهم الحب للنبى ﷺ وأهل بيته والقرآن الكريم، فقد روى عن الإمام علىّ عليه السلام عن النبى ﷺ أنه قال: (أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه)(٢).

إن النشأة السليمة للطفل يبدأها الأبوان منذ الطفولة المبكرة، لأنها أهم مراحل التربية، حيث يرسخ فيها التعليم، من سن الثانية إلى السابعة، قبل الخروج إلى أرض الواقع وظهور المعوقات والمؤثرات التى تؤثر على الأبناء، وتعد هذه المرحلة أخطر المراحل فى التربية على الإطلاق.

والأساس فى ذلك، أن يلتزم الآباء والأمهات بالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، لأن الابن لا يرى فى عينيه أكمل من والديه، ولهذا لا يجب أن يشاهد منهما إلا كل طيب وحميد، كالصلاة، وشكر المحسن وتأديب المسىء، والصدقة، ومدح أهل الفضائل مدحًا يشوقه إليها، والتحرز من مدح بعض أهل الرذائل أمامه، ولا يسب الوالد

---

(١) سنن أبى داود ١٨٥/١ ح٤٩٥.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٤٥٦/١٦ ح٤٥٤٠٩، وجامع الأحاديث للسيوطى ٨٩/٢ ح٩٦١.

زوجته أمام ولده، حتى لا يسمع من والديه ولا يرى منهما إلا كل ما تنمو به الفضائل، ويجب أن يحافظا على الأولاد من صحبة أهل الأخلاق الفاسدة، سواء كانوا صغارًا أو كبارًا، ومن سماع العبارات القبيحة والألفاظ السمجة، مع العناية بمراقبة الأولاد فى أوقات الرياضة واللعب، حتى يبيّنا لهم مضار اللعب فى الأماكن القذرة، وأخطار الألعاب المضرة، مع ملاحظة أن الابن لا يُشتَم بقبيح الشتائم، أو يعاقب على بعض هفواته عقوبة شديدة، فإن ذلك يجعله ينطبع على الرذائل من الكذب، وقلة الحياء، وارتكاب القبائح.

مرحلة البلوغ

وفيها يبدأ الوالدان بتعريف أبنائهما بالتغيرات الفسيولوجية التى تطرأ على الجسد فى هذه المرحلة، وكيفية التعامل معها، وإبداء النصح لهم، مع التصرف بحكمة معهم فى هذا الأمر، لإبعادهم عن كل المؤثرات التى تؤدى إلى تحريك الغرائز الكامنة داخل الأبناء، مثل النظر إلى المشاهد المخلة فى بعض الأفلام، ورؤية الصور الإباحية فى المجلات وغيرها من وسائل الإعلام.

لقد وضع الله فى الإنسان الغريزة الجنسية، وجعلها أمرًا طبيعيًّا، وذلك لتعمير الكون، وحفظ النوع البشرى، فإن لم يدركها كل من الأب والأم لن يقدم أى منهما على

الزواج، ومن هنا كان الاهتمام الخاص بمرحلة البلوغ، لضبط تلك المرحلة بالضوابط الشرعية، حتى لا ينشأ عنها مشاكل تضر ضررًا بالغًا بالأسرة المسلمة والمجتمع المسلم.

مرحلة الاختيار

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

وقال ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[1] أى: وقاية.

وقال ﷺ: (ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف، والمجاهد فى سبيل الله)[2].

والحياة الزوجية من أهم الأمور التى لابد من الاهتمام بها، فمن خلالها يُبنى جيل صالح يتفهم الحياة ويتحمل

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ح٥٠٦٦، وصحيح مسلم ٧/١٧٣ ح٢٤٨٥.

(٢) سنن النسائى الكبرى ٣/١٩٤ ح٥٠١٤، وسنن الترمذى ٤/١٨٤ ح١٦٥٥.

الأعباء والمسئوليات، ولكن لإنشاء بيت صالح لابد من حسن اختيار الزوج لزوجته والزوجة لزوجها، فهما الأساس الذى إذا صلح كانت العواقب طيبة، وإذا فسد كانت العواقب وخيمة.

أولاً: اختيار الزوج:

قال رسول الله ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض)[1].

وقال ﷺ: (تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)[2].

وقال بعض السلف الصالح: النكاح رِقٌّ، فلينظر أحدكم عند من يرقُّ كريمته.

وقال بعضهم: لا تنكح إلا الأتقياء فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها أنصفها.

فعلى أهل العروس أن يزوِّجوا الذى يرضون دينه وخُلُقَه كما ذكر رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف.

ومعنى التدين هو أن يكون الرجل سويًا فى عبادته قائمًا بها، عاملاً بمحاب الله ومراضيه، مجتنبًا محارمه،

(١) سنن الترمذى ٣/٣٤٩ ح١٠٨٤.

(٢) سنن ابن ماجه ٣/٣٩٠ ح ١٩٦٨.

حَسَنَ المعاملة، متجملاً بأخلاق سيدنا رسول الله ﷺ.

ولكن كيف نعرف أنه رجل صالح؟.

للإجابة على هذا السؤال نقول: إنه يجب أن نسعى للتعرف على دينه وخُلقه بشتى الوسائل المباحة، بما فى ذلك الاستفسار والسؤال عن الشخص المتقدم للخطبة فى مكان معيشته وفى عمله، والتدقيق والتأكد من حسن خلقه؛ فإذا كان رجلاً صالحًا فإن هذا يبشر بأنه سيكون زوجًا صالحًا يحسن معاملة زوجته وأولاده، وينتج عن ذلك أبناء يكونون لبنة صالحة لمجتمع فاضل.

أما إذا اتضح أنه غير مَرْضِى الدِّين والخُلُق؛ فلا يجوز أن نقبل تزويجه بها؛ لأنه لا تتكون بهذا الزواج أسرة مستقرة سعيدة، بل تكون أسرة مفككة معرضة للانهيار فى أى وقت.

وللزوجة الحق فى قبول التزوج بالرجل أو رفضه، فلا يصح أن تُجبَر على الزواج بمن لا تريد، قال ﷺ: (لا تزوج الأيِّم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن)[١].

ثانيًا: اختيار الزوجة:

قال رسول الله ﷺ: (تنكح المرأة لأربع: لمالها،

(١) سنن ابن ماجه ٣١٩/٣ ح١٨٦١، وسنن البيهقى الكبرى ١١٩/٧ ح١٤٠٥٠.

ولحسبها، وجمالها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[١]، وفى حديث آخر: (من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها)[٢]، وقال ﷺ أيضًا: (لا تنكحوا المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها، وانكحوا المرأة لدينها)[٣].

ومن المعلوم أن ذلك ليس تنقيصًا فى أهمية جمال المرأة أو حسبها أو مالها إن تيسر، لكن المنهى عنه أن يُرَجِّح الرجل تلك الصفات منفردة أو مجتمعة على الدين، فنكاح المرأة للدين والصلاح طريق من الآخرة.

ولا مانع أن يتحرى الرجل اجتماع الصفات الأربع المذكورة فى المرأة، ففى هذا من الخير ما فيه، مع التيقن أنها صاحبة دين، وإلا ففى كونها صاحبة دين كفاية، حتى تعامل الله فى زوجها وتعينه على طاعة ربه، وفى صلاح المرأة بشرى لزوجها ساقها لنا ﷺ فى قوله: (من رزقه الله زوجة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الأكفاء فى الدين ح٥٠٩٠، وصحيح مسلم ٣٨٨/٧ ح٢٦٦١.

(٢) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧١٢/٤.

(٣) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧١٢/٤.

الشطر الثانى)[1].

أما المرأة الغير صالحة فقد تتسبب فى أن يخسر الرجل دينه، فيُنزلها الرجلُ - بإغوائها له - منزلة قد تصل إلى ما أخبر به ﷺ فى قوله: (تعس عبد الزوجة)[2]، فأين هذه ممن قال فيها ﷺ: (خير نسائكم التى إذا نظر إليها الرجل سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسه وماله)؟!!.

ويستحب للرجل أن ينظر إلى وجهها وكفيها وإلى ما يدعوه إليها قبل التزويج بها، وفى هذا قال ﷺ لأحد الصحابة حين خطب امرأة: (أنظرت إليها)، قال: لا، قال: (فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[3].

وقال ﷺ - حين أتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار-: (أنظرت إليها)، قال: لا، فقال له رسول الله ﷺ: (فاذهب فانظر إليها فإن فى أعين الأنصار شيئًا)[4].

---

(١) المستدرك للحاكم ١٧٥/٢ ح٣٦٨١، والمعجم الأوسط للطبرانى ٤٨٤/٢ ح٩٨٥، بلفظ: (الشطر الباقى).

(٢) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧٢٤/٤.

(٣) سنن الترمذى ٣٩٧/٣ ح١٠٨٧، وسنن ابن ماجه ٣١٥/٣ ح١٨٦٥، ومسند أحمد ٨٨/٣٠ ح١٨١٥٤.

(٤) صحيح مسلم ٢٥١/٧ ح٢٥٥٢، وسنن النسائى ٣٨٥/٦ ح٣١٩٤.

المصارحة والاستشارة:

ويستحب لكل من الرجل والمرأة إذا أرادا الزواج أن يشرح كل منهما حاله ويبيِّن أخلاقه حتى يكون كل منهما على بصيرة من أمره ويقين من حاله، وأن يدخل الرجل على اختيار منها فذلك من الورع، فقد تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد، أى: يغير الشعر الأبيض باللون الأسود، فلما دخل بامرأته نصل خضابه فظهرت شيبته، فاستعدى أهل المرأة وقالوا: نحن حسبناه شابًّا، فأوجعه ضربًا، وقال: غررت القوم، وفرَّق بينهما.

وعلى مَن أراد الزواج أن يستشير أبويه فى بداية الاختيار، وأن يتحفظ من مشورة أصدقائه، لأن أقرب وأحب الناس إلى الآباء هم الأبناء، وحرص الآباء على سعادة الأبناء لا يشك فيه عاقل، مع سابق خبرتهم ودرايتهم بأمور الحياة، ثم الإخوة، فخذوا بنصيحتهم وافعلوا بها.

وتذكروا: (كما تدين تدان)، فكل ما تصنعه- أو تصنعينه- فإن ذلك محفوظ عند الله وسيعود لكما- أو عليكما- فى أبنائكما، أو أخواتكما أو أقاربكما.

الفصل الثانى
مرحلة الزواج

لتكوين بيت الزوجية لابد من المرور بما يلى:

أولاً: مرحلة الخطوبة:

إن مرحلة الخطوبة تعتبر أول مرحلة يمر بها العروسان تمهيدًا وإعدادًا لحياتهما الزوجية، وهى من أجمل مراحل الحياة، وهى التى ينمو فيها الحب الصادق النابع من القلب الذى يحمل المشاعر والأحاسيس الصادقة المتبادلة- فى إطار من العفة والطهارة والالتزام بأخلاق الدين وآدابه- ويفضل أن تكون محددة المدة بحيث لا تزيد عن سنة حتى لا يكثر الأخذ والرد؛ مما قد ينتج عنه بعض المشاكل التى قد تؤدى إلى عدم إتمام الزواج.

وإذا أراد الشاب الذهاب إلى رؤية الفتاة لخطبتها فعليه أن يتبع سنة سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)[١]، وهذا يعنى أنه يباح النظر إلى وجهها وكفيها فهما ليسا بعورة، وذلك لأنه يستدل بالوجه على الجمال؛ وبالكفين على نضارة الجسم.

---

(١) مسند أحمد ٢٢/٤٤٠ ح١٤٥٨٦.

ثانيًا: اكتمال أركان الزواج:

وللزواج أركان نوجز هنا ذكرها دون ذكر التفاصيل أو السنن والمندوبات فى هذا الشأن؛ ويمكن لراغب المزيد الرجوع إليها فى كتب الفقه:

الركن الأول: العاقدان

والمراد بالعاقدين: الزوجان أو وليَّاهما أو وكيلاهما، ويشترط فيهما العقل والتمييز، ويشترط فى الزوج أن يكون مسلمًا إن أراد أن يتزوج مسلمة؛ ولا يجوز لغير المسلم أن يتزوج مسلمة.

ويشترط فى المرأة التى يريد المسلم أن يتزوجها أن تكون من غير المحرمات عليه.

الركن الثانى: الإيجاب والقبول

والإيجاب يكون من قِبَل الزوجة أو من قِبَل وليِّها، ويكون القبول من قِبَل الزوج أو وليِّه، فيقول ولى المرأة: زوجتك، أو: أنكحتكَ، ويقول الزوج: تزوجت، أو: نكحت، أو: قبلت تزويجها أو نكاحها.

ومعلوم أن زواج المرأة لا يكون إلا بإذنها ورضاها؛ وأن إذن البكر صمتها لحديث عائشة رضي الله عنها؛ قلت: يا رسول الله، البكر تستحيى، قال ﷺ: (رضاها

صمتها)[١]، أما الثيب فإذنها صريح قولها لحديث: (الثيِّب تعرب عن نفسها)[٢]، ولمفهوم حديث: (لا تنكح الأيِّمُ حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكرُ حتى تستأذن) قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟، قال: (أن تسكت)[٣].

الركن الثالث: الوليّ

وإذن الولى كالأب والأخ ركن من أركـان العقـد أو شرط من شروط صحته، فلا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها من غير إذن وليها، ومن باب أولى لا يجوز لها أن تزوج غيرها، وهذا ما عليه جمهور الفقهـاء علـى اختـلاف مذاهبهم، وخالف فى ذلك الأحناف فلم يشترطوا فى صحة النكاح إذن الولى وجوّزوا للمرأة أن تزوج نفسها من غير إذن وليها، بشرط الكفاءة ومهر المثل، وإلا جاز لوليهـا التفريق بينهما.

يروى عن ابن قدامة فـى (المغنـى): (إن النكـاح لا يصح إلا بولىٍّ، ولا تملك المرأة تزويج نفسها ولا غيرها،

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ح٥١٣٧.

(٢) سنن ابن ماجه ٣١٩/٣ ح١٨٧٢، ومسند أحمد ٢٦٠/٢٩ ح١٧٧٢٢.

(٣) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ح٥١٣٦.

ولا توكيل غير وليها فى تزويجها، فإن فعلت لـم يـصح النكاح)[١]. رُوِىَ هذا عن عمر وعلىٍّ وابن مسعود وابـن عباس وأبى هريرة وعائشة رضي الله عنهم، ولذلك تفصيل فى كتب الفقه لا حاجة بنا إلى الإسهاب فيه.

الركن الرابع: الإشهاد

يرى جمهور الفقهاء على اختلاف مذاهبهم أن الإشهاد ركن أو شرط من شروط صحة النكاح؛ لا ينعقد بدونـه؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (الطلاق: ٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (البغايا اللاتى ينكحن أنفسهن بغيـر بيِّنة)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (لا نكاح إلا بولىٍّ وشاهدَىْ عدل)[٢].

الركن الخامس: المهر

شرع الله تعالى للمرأة على زوجها حقًّا معلومًـا فـى نظير استمتاعه بها؛ يدفعه لها قبل عقده عليها، أو بعـده، أو يدفع لها بعضه ويؤخر بعضه، وهـذا الحـق واجـب بإجماع الأمة لقوله تعالى: ﴿وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤)، والمعنى: أعطـوا أيهـا الرجـال النـساء مهورهن عطية خالصة من المَـنِّ والأذى، طيبـة بهـا

(١) المغنى لابن قدامة ٣٥٧/١٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٣٨٦/٩ ح٤٠٧٥، وسنن البيهقى الكبـرى ١١١/٧ ح١٤٠١٦.

نفوسكم بوصفها مفروضة عليكم.

والإسلام لم يجعل حدًّا لأقل المهر ولا حدًّا لأكثره، بل وكل ذلك للعرف الشائع بين الناس؛ فكل يبذل لامرأته من ماله على قدر وسعه وطاقته، فإن الناس يختلفون، فمنهم الفقير، ومنهم الغنى.

قال أبو سلمة: سألت عائشة كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: كان صداقه لأزواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا قالت: أتدرى ما النشُّ؟ قلت: لا، قالت: نصف أوقية؛ فتلك خمسمائة درهم[1].

وقد ذهب الشافعى وأحمد: إلى أنه لا حدَّ لأقل المهر، فكل مال يصلح أن يكون مهرًا وإن قلَّ.

وفى هذا الأمر أحب أن نتنبَّه إلى ما يلى:

أن المغالاة فى المهور سبب رئيس فى حرمان الكثير من الفتيان والفتيات من الزواج، ولنعلم جيدًا أن كثرة الفواحش والزنا سببه المغالاة فى المهور والإسراف فى محتويات بيت الزوجية، وذلك يؤدى إلى حرمان الرجل والمرأة من أن يكملا نصف دينهما؛ قال ﷺ: (النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منِّى)[2]، وعن أنس رضي الله عنه

(١) صحيح مسلم ٢٥٥/٧ ح٢٥٥٥.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٢٧١/١٦ ح٤٤٤٠٧، وجامع الأحاديث للسيوطى ٣١٢/٢٢ ح٢٤٩٧٦.

أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه؛ فليتق الله فى الشطر الباقي)[1].

لذلك فإنى أرجو من كل أب وأم أن يرحما الأولاد من التعسف فى المهور والمغالاة فيها، لكى نيُسِّر على شبابنا وبناتنا الزواج؛ ونسعى للمحافظة عليهم من الفتن واقتراف الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ولنهتد بهدى نبينا ﷺ إذ يقول: (خير نساء أمتى أصبَحُهُنَّ وجهًا وأقلُّهُنَّ مهرًا)[2]، وقال ﷺ: (التمس ولو خاتمًا من حديد)[3]، وقال ﷺ لرجل أراد الزواج: (زوجتك بما معك من القرآن)[4]، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة)[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: (خير الصداق أيسره)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إن من يُمْنِ المرأةِ

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٤٨٤/٢ ح٩٨٥.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٢٩٧/١٦ ح٤٤٥٦٧، وجامع الأحاديث للسيبوطى ٣٨٣/١٢ ح١٢١٤٤.

(٣) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ح٥١٣٥.

(٤) تخريج الحديث السابق.

(٥) مسند أحمد ٧٥/٤١ ح٢٤٥٢٩، وشعب الإيمان للبيهقى ٢٥٤/٥ ح٦٥٦٦.

تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها)[١]، وهذه وصية من أعظم الأنبياء وسيد الخلق ﷺ، ونحن مدعوون للأخذ بها والعمل بمقتضاها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يا أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فإنها لو كانت مَكْرُمة عند الناس أو تقوى عند الله لكان أحقهم بذلك رسول الله ﷺ، لم ينكح امرأة من نسائه ولا أنكح امرأة من بناته إلا على اثنتى عشرة أوقية)[٢].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله: والقصد فى المهر أحب إلينا؛ وأستحب أن لا يزيد فى المهر على ما أصدق رسول الله ﷺ نساءه وبناته؛ وذلك خمسمائة درهم.

جهاز العروسين

إن أثاث البيت لا يلزم أن يكون كاملاً؛ ولكن يمكن أن يبدأ الزوجان بالأساسيات الضرورية للبيت، ولا يصح أن نعطل الزواج من أجل زينة البيت وزخرفته، أو كماليات يمكن الاستغناء عنها، فالمشكلة ليست فى السجاد مثلاً ولا فى الستائر ولا تكملة المطبخ؛ بل إن الزوجين بعد ذلك وعند القدرة يستطيعان شراء ما يحبان، وكم مِنْ منزلٍ

(١) مسند أحمد ٤١/٢٧ ح٢٤٤٧٨، والمستدرك للحاكم ١٩٧/٢ ح٢٧٣٩.

(٢) المعجم الأوسط للطبرانى ٨٠/٢ ح٥٨١.

مزدحم بالضروريات والكماليات متسعٍ ضاقت صدورُ أهله، وكم مِنْ بيت بسيط الأثاث، قليلِ الأدوات، محدودَ المساحة؛ ملأته المحبة؛ ورفرفت على جنباته السعادة حتى صار على أصحابه كأنه قطعة من الجنة.

ولنسأل أنفسنا سؤالاً:

فتياتنا أم السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ؟.

فتياتنا أم الإمام عليٍّ بن أبى طالب (كرَّم الله وجهه)؟.

لقد كان أثاث بيتهما ما يلي:

- فراشان من خيش مصر؛ حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جزِّ الغنم.
- نِطْع من أدم (جِلْد) (بساط من الجِلْد).
- وسادة من أدم حشوها من ليف النخيل.
- عباءة خيبرية.
- قربة للماء.
- كيزان (جمع كوز)، وجرار (جمع جرَّة) للماء.
- مطهرة للماء مزفتة.
- ستر صوف رقيق.
- قميص بسبعة دراهم.
- خمار بأربعة دراهم.
- قطيفة سوداء.
- سرير مزمل بشريط.

- أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر (نبات معروف).
- حصير هجرى.
- رحى لليد.
- مخضب من نحاس.
- قعب للبن.
- شنّ للماء (قربة صغيرة).

فهيا نرضى لأنفسنا ما رضيه ﷺ لسيدة نساء العالمين.

الزينة ليلة الزفاف

الزينة من الأمور المهمة فى ليلة الزفاف؛ فقد أمر النبى ﷺ أزواجه أن يزينّ السيدة فاطمة عليها السلام ويطيِّبْنها ويفرشن لها بيتها ليُدخلنها على بعلها، فقامت النسوة فطيَّبْنها، وألبسنها الحلي، وكانت إحداهن تمشط شعرها، والأخرى تزينها، وهذا دليل قاطع للمسلمين على إباحة الزينة للعروس فى هذه الليلة، فالتزين أمر هام لها حتى تظهر أمام زوجها بمظهر حسن وتكون بفضل الله أجمل مَن فى الحفل، ففى الزينة تمييز لها عن غيرها فى إظهار جمالها، ومن المباح للعروس التزين بالأماكن المخصصة للزينة بشرط أن يكون القائمون بالتزيين من النساء فقط.

أما بالنسبة لزينة الزوج فلها دور لا يقل أهمية عن زينة العروس، ليس فى يوم العرس فقط؛ ولكن على مر الأيام، ومن هنا نؤكد على أهمية زينة الرجل للمرأة وخاصة فى تلك الليلة، فعلى الزوج فى هذه الليلة الاستحمام، وتقليم الأظفار، والتطيب، وارتداء أبهى الملابس التى تميزه عن غيره فى هذا الحفل.

مثال لأهمية التزين

دخل على سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل أشعث أغبر ومعه زوجته تقول: يا أمير المؤمنين؛ لا أريد هذا الرجل، فأمره عمر بالاستحمام وتهذيب شعره وتقليم أظفاره، ففعل الزوج، فتغيرت هيئته وأصبح وضيئًا وسيمًا حسن المنظر تفوح منه رائحة الطيب، فأومأ إليه عمر: خذ بيد زوجك، فلما مد الرجل يده إليها أنكرته وظنت أنه رجل أجنبى، فقالت له: يا عبد الله، سبحان الله!! بين يدى أمير المؤمنين تفعل هذا؟!. فلما عرفته ذهبت معه راضية.

فقال عمر: هكذا فاصنعوا لهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن؛ كما تحبون أن يتزيَّنَّ لكم.

موكب الزِّفاف

من السُّنَّة إقامة حفل الزِّفاف الذى يتحقق به إعلان

النكاح، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة، فقد أقام صلى الله عليه وآله وسلم موكبًا عظيمًا لابنته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فبعد أن انتهت النساء من تزيين السيدة فاطمة عليها السلام وتطييبها فى بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها ودعا بصهره العظيم فأقبلا، فأخذ عليًّا بيمينه وفاطمة بشماله وجمعهما إلى صدره وقبّلهما.

ثم أتى النبىّ ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: (اركبى) وأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم سلمان أن يقود البغلة، وكان صلوات الله عليه وآله يسوقها، وحمزة وعقيل وأهل البيت يمشون خلفها شاهرين سيوفهم، وأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين فى صحبة السيدة فاطمة، وأن يفرَحن ويرجُزْن ويكبِّرن ويحمَدن، ولا يقلن ما لا يرضى الله، وكانت زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمشين قُدَّامها وهنّ يعلنَّ الفرح والسرور، ويرددن الأناشيد اللطيفة بالصوت الرقيق، وكانت أولهن السيدة أم سلمة أم المؤمنين تنشد فتقول:

سِرْنَ بعونِ الله جاراتى
واشكُرْنَه فى كل حالات
واذْكُرْنَ من أنعم رب العلى
من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر، وقد
أنعشنا ربّ السموات

وسِرْنَ مع خير نساءِ الورى
تفدَى بعمَّاتٍ وخالات
يا بنتَ مَن فضَّله ذو العُلى
بالوحيِ منه والرسالات

ثم أنشدت السيدة عائشة؛ ومن بعدها السيدة حفصة؛ ومن بعدها السيدة معاذة أم سعد بن معاذ، وكانت النسوة يرجّعن أول بيت من كل رَجَز.

وأما الرجال فكانوا يهتفون مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلين:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله والله أكبر.

وما أن وصل الموكب المبارك إلى دار الإمام علىّ؛ حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الزوجين الكريمين، ثم أخذ بيد السيدة فاطمة ووضعها فى يد الإمام علىٍّ وقال: (باركَ الله فى ابنة رسول الله، يا علىّ؛ هذه فاطمة وديعتى عندَك، يا عليّ؛ نَعْمَ الزوجةُ فاطمة، ويا فاطمة؛ نِعْمَ البعلُ عليّ) ومما دعا به صلى الله عليه وآله وسلم لهما: (اللهمّ اجْمَعْ شملَهما، وألِّف بين قلبَيْهِمَا، واجْعَلْهُمَا وذرِّيّتَهُما من ورثة جنّة النَّعيم، وارزُقْهُمَا ذرِّيَّةً طاهرةً طيبةً مباركةً، واجْعَلْ فى ذرِّيَّتِهِمَا البركةَ، واجْعَلْهُم أئمةً يهدُونَ بأمرِك إلى

طاعتك ويأمرون بما رَضِيتَ)[١].

ونستفيد من هذا: أنه لا بد أن يكون الموكب محفوفاً بالبهجة والسرور، وقد تطورت الوسائل من استخدام البغلِ والناقة إلى استخدام السيارات الآن لزفاف العروس، فيأخذ الزوجُ العروسَ من دار أهلها إلى المكان المخصص لحفل الزفاف - فى المسجد أو فى مكان أُعد لذلك - قال ﷺ: (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف)[٢].

يتبين من ذلك: أن هذه الليلة يباح فيها اللهو مثل الضرب بالدف واستخدام الآلات الموسيقية والغناء، وكل إنشاد يبعث على السمو والجد والاستقامة فهو غناء حَسَن، فالغناء - كما يقول العلماء - كلام، حَسَنُه حَسَنٌ وقبيحُه قبيحٌ، ومن غَنَّى أو استمَع إلى غناء شريفِ المعنى طَيِّب اللحن فلا حرج عليه.

الوليمة

سَنَّ الإسلام أن يقيم الزوج وليمة طعام يدعو إليها الأقارب والأصدقاء، ويجعل فيها حظًّا للفقراء كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: (يا عليّ؛ إنه لا بد للعروسِ من

(١) موسوعة أعلام الهداية، المجمع العالمى لأهل البيت ٣/٨٦.
(٢) سنن الترمذى ٣/٣٩٨ ح١٠٨٩.

وليمة)[١] وقال ﷺ: (شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمةِ يُدعَى لها الأغنياءُ ويُترك الفقراءُ، ومن ترك الدعوةَ فقد عصى الله ورسولَه)[٢].

وفى الوليمة خير كثير وفائدة عامة؛ ففيها إشباع للبطون الجائعة، وغرس للمحبة فى القلوب، وإحياء سنة من سنن رسول الله ﷺ، وفيها رضا الله تعالى.

والوليمة تكون من الفائض عن حاجة الزوج بحيث لا ترهقه ولا تجعله يمد يده، أما فى حالة عدم القدرة على تكاليف الزواج وعمل الوليمة، فقد أرشد رسول الله ﷺ الأمة إلى كيفية القيام بشئون أبنائها، ويتضح ذلك فيما ذكره الإمام أبو العزائم فى كتابه: (الإسلام دين الله، ص: ١٥٢) أن بعض الصحابة انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده الحاجة إن طرقته، فقال له: (ألا تتزوَّجْ؟) فقال: يا رسول الله؛ أنا فقير لا شيء لى وأنقطع عن خدمتك، فسكت عنه، ثم عاد عليه ثانية: (ألا تتزوَّجْ؟) فقال له مثل ذلك، ثم تفكر الصحابى فى نفسه فقال: والله لَرَسُولُ اللهِ أعلمُ بما يصلح دنياى وآخرتى وما يقربنى من

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٢/٢٠ ح١١٥٣، وكنز العمال ١٣/٦٨٠ ح٣٧٧٤٤، ٣٧٧٤٥.
(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ح٥١٧٧.

الله عَزَّوَجَلَّ، لئن قال لى الثالثة لأفعلنَّ، فقال له رسول الله ﷺ: (ألا تتزوَّجُ؟) قال: فقلت: يا رسولَ الله؛ زَوِّجْنى، قال: (اذْهَبْ إلى بَنِى فلانٍ فقل لهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكم أن تُنكِحُونِى فَتَاتَكُمْ) فقلت: يا رسولَ الله؛ إنه لا شىء لي، فقال لأصحابه: (اجمَعُوا لأخِيكم وزنَ نواة من ذهبٍ) فجمعوا له، وذهب إلى القوم فأنكحوه، فقال رسول الله ﷺ: (أوْلِمْ) فقال: يا رسولَ الله؛ لا شىء عندى، فقال لأصحابه: (اجْمَعُوا لأخِيكمْ ثمَنَ شاة) فجمعوا له، وأصلحوا له طعامًا، ودعا إليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

لقد وضع رسولُ الله ﷺ حلاً لمشكلات الشباب المسلم التى يعانى بسببها الكثير من شبابنا وبناتنا – خاصة فى عصرنا هذا – ونحن مطالَبون بالعمل بهديه ﷺ ليصلح الله لنا ديننا ودنيانا.

والواجب علينا أن يشد بعضُنا أزر بعض، وتكون عطية المسلم لأخيه المسلم بقصد المحبة والتقرب إلى الله بعمل الخير، قال ﷺ: (الله فى عونِ العبد ما كان العبدُ فى عونِ أخيه)[١] فلا ينتظر المعطى ردًّا لعطيته، ولا يرى أنه أسدى لأخيه جميلاً يمُنُّ به عليه، وإنما يحمَد الله تعالى أن وفَّقه للقيام بواجبٍ أوجبه عليه من التعاون على

(١) المستدرك للحاكم ٤/٤٢٥ ح٨١٥٩.

البر والتقوى.

وفى هذه الليلة يجتمع أهل العروسين وضيوفهما فى حفل الزفاف؛ مما يؤدى إلى الاختلاط، وهو مباح ما لم يُفْضِ إلى مُحَرَّم.

الدخول بالزوجة

قد تكون النصائح التى يتلقاها العروسان عن ليلة الزفاف من الأهل والأصدقاء غير كافية، أو غير دقيقة، ولذلك فإنه يفضل تلقى تلك النصائح من الأطباء المتخصصين، لأن هناك أمورًا يجهلها الكثير منا، وقد يتسبب الجهل بها فى ما لا تحمد عُقباه، ومن ذلك – على سبيل المثال – المعرفة بنوع غشاء البكارة، فغشاء البكارة غشاء رقيق ولا يشعر الرجل بمقاومة ظاهرة عند الإيلاج، كما لا تشعر المرأة بألم شديد إلا إذا تشنجت وشدت أعصابها، وينتج عن ذلك نقطة أو نقطتان من الدم تمتزج غالبًا بمنىّ الرجل وإفرازات الفرج فلا تظهر واضحة لكل أحد، ومثل هذه الأمور تختلف من فتاة إلى أخرى، بل إن بعضهن له غشاء بكارة مطاطىّ لا يتمزق أثناء الإيلاج وإنما عند أول ولادة للمرأة، وعدم معرفة الزوج به قد يجعله يشك فى وجوده فيطعن فى شرف عروسه، ولذلك يفضل اللجوء للطبيب المختص حتى تزال تلك الشكوك ويطمئن القلب.

آداب الخلوة بين الزوجين

عند الخلوة بين العروسين فى غرفة الزوجية يُراعَى ما يلى:

١- أن يتوضئا ويصلِّيا فرضَهما، فإن كانا قد صلَّيَا الفرض فليصلِّيَا ركعتين للهِ يؤم الزوجُ فيهما زوجتَه، وبعد الانتهاء من الصلاة يدعو الله ويقول: (اللهُمَّ بأمانتك أخذتُها، وبكلماتك استحللتُ فرجَها، فإن قضيتَ لى منها ولدًا فاجْعَلْهُ مبارَكًا سويًّا، ولا تجعل للشيطان فيه شريكًا ولا نصيبًا).

٢- أن يتحدث العروسان معًا بكلام طيب يحن به كل منهما للآخر ويُسَرُّ به، كلامًا يصاحبه مشاعر وأحاسيس طيبة تجعل كلاًّ منهما يأنس بالآخر ويشتاق إليه، ويعالج ما بينهما من خجل وحياء، قبل اللقاء الجنسى الذى يراعى الزوج أن يسبقه بالتسمية والعمل بوصية رسول ﷺ فى قوله: (لَوْ أنَّ أحدَكم إذا أتى أهلَه قال: بسم الله، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشيطانَ وجنب الشيطانَ ما رزقتَنا، فإن قُدِّر بينهما ولد فى ذلك؛ لم يضرَّه شيطانٌ أبدًا)[1].

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الدعوات، باب ماذا يقول إذا أتى أهله ح٦٣٨٨، وكتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة به ح٧٣٩٦، وصحيح مسلم ٢٩٦/٧ ح٢٥٩١.

٣- وبالحب والرفق والرضا والتمهيد والتدرُّج يتلمس الزوجُ حصول المباشرة الجنسية بينه وبين زوجته، فإن خافت أو استوحشت أو انزعجت فلا يرغمها، ولا يتعجل، وليُعِد الكرَّة من جديد مداعبًا ومؤنسًا ومهدِّئًا إياها، حتى تزول وحشتها، وتطمئن إليه، ويسكن فؤادها، ويهدأ بالها، ولا مانع أن يصبر عليها يومًا أو بعض يوم، أو حتى أيامًا، حتى تتم تلك المباشرة الأولى بالمحبة والرضا والتفاهم فيما بينهما، وليأخذها باللين حتى تلين، ومن الأفضل أن يفصل الزوج بين اللقاء الأول والذى يليه بفاصل معقول حتى تكون الزوجة على استعداد بعد ما قد تشعر به من ألم بسبب أول لقاء، ومراعاة تلك الأمور غالبًا ما تكون مقدمة لعيشة هنيئة سوية؛ وعاملاً من أهم عوامل الاستقرار الأسرى.

ويستحب للمرأة أن تتخذ قطعة من قماش تناولها الزوج بعد فراغه فيمسح بها، تقول عائشة رضي الله عنها: (ينبغى للمرأة إذا كانت عاقلةً أن تتخذ خرقةً، فإذا جامعَها زوجُها ناولَتْه إياها فيمسح عنه، ثم تمسح عنها، فيصليان فى ثوبهما ذلك ما لم تصبْهُ جنابة)[1].

ومن جامعَ مرةً وأراد العوْد فليغسلْ فرجَه قبل ذلك، فإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول، فإن جامعَ

---

(١) سنن البيهقى الكبرى ٤١١/٢ ح٤٣٠٣..

بعد احتلام من غير غسلٍ خيفَ على ولده - إن كان من جماعه - أن يصيبه لمم من الشيطان.

وبعد أن يغشاها ويهدءا، فليبادرا إلى واجب الغسل من الجنابة الذى أمر به ﷺ بقوله: (إذا أصابَ الختانُ الختانَ؛ فقد وجبَ الغسل)(١)، والغسل من الجنابة واجب شرعى، ولا يخفى ما فيه من النظافة العامة والمحافظة على الصحة.

وعمومًا؛ فإنه لا يحل للرجل من امرأته إلا الفرج لا غير على أيِّ حالٍ شاء، جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت، قال: (ما الذى أهلَكَكَ؟) قال: حولتُ رحلى البارحة - يعنى أنه جامع زوجته فى قبُلها من جهة الدُبُر - قال: فلم يردّ عليه شيئًا، قال: فأوحى الله إلى رسوله ﷺ هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، فقال ﷺ: (أَقْبِلْ، وَأَدْبِرْ، وَاتَّقِ الدُّبُرَ والحَيْضَةَ)(٢).

ومَن جامَع فليستمهِلْ على امرأته حتى تقضى هى شهوتها كما قضى هو شهوته، وأوفق ما يكون الجماع بينهما إذا اتفقت الشهوتان معًا.

---

(١) مسند أحمد ٤١/١٩٧ ح٢٤٦٥٥.

(٢) مسند أحمد ٤/٤٣٤ ح٢٧٠٣.

ملحوظة: يستحب عند تحديد يوم الزفاف مراعاة أن تكون العروس فى غير أيام الحيض؛ فإن الجماع فى المحيض حرامٌ حرامٌ، ويعرِّض الرجل والمرأة للأذى كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

صبيحة يوم الزفاف

لما كان صبيحة عرس السيدة فاطمة عليها السلام جاء النبىُّ ﷺ بقدحٍ فيه لبن فقال لفاطمة: (اشْرَبى؛ فداكِ أبوكِ) وقال لعلىّ: (اشْرَبْ؛ فداكَ ابْنُ عمِّكَ) ثم سأل عليًّا: (كيفَ وجدتَ أهلَكَ؟) قال: نعْمَ العونُ على طاعةِ الله، وسأل فاطمة فقالت: (خيْرُ بعْلٍ).

ونستفيد من هذا: أن أهل العروسين يأتون صبيحة يوم الزفاف للاطمئنان على حالهما ويحملون معهم ما لذ وطاب من طعام وفاكهة بقدر الاستطاعة، ويفضل أن يترك الزوجان البيت ويذهبا إلى مكان بعيد عن الأهل والأقارب والأصدقاء حتى يستجمَّا ويأخذ كل منهما راحته ويفرَّا من القيود والاتصالات والزيارات ثلاثة أيام على الأقل، وإن استطاع الزوج أن يطيل المدة عن الثلاثة فله ذلك، وهذا ما يسمونه بشهر العسل، فهذه أيام تُحتسب من

العمر ولا تُنسى مدى الدهر، ثم الرجوع إلى بيت الزوجية لاستقبال المهنئين من الأهل والأقارب والأصدقاء.

نرجو من الله تعالى أن يوفق كل شاب وفتاة للزواج السعيد؛ الذى تتحقق فيه المودة والرحمة والحب والوفاء والإخلاص، ويرزقهم الله الذرية الصالحة التى تُعَزُّ بالإسلام، وأن يحفظهم الله من الشيطان الرجيم، إنه مجيب الدعاء، آمين يا رب العالمين.

الفصل الثالث
مرحلة الحياة الزوجية

شرع الله الزواج فى الإسلام لغايات نبيلة ولأهداف سامية منها:

الحفاظ على النسب بين الناس، والحفاظ على النسل الإنسانى، ولترشيد وإشباع الغرائز والميول الشرعية، وأمان للمجتمعات من الضياع السلوكى، والانحلال الخلقى، وتنمية روح المحبة وغرس أصول الألفة، وتزكية العواطف الأبوية النبيلة وسعادة الأمومة ورعاية الأولاد.

ولذا جعله الله تعالى سنة الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

وجعله مبعث وحدة البشرية والمساواة فى الإنسانية، ونمو أصولها وانسجام فروعها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

وهو أيضًا عنوان تمدن وتحضر، وأساس كل تعاون وتقدم، على عكس العلاقات غير المشروعة فإنها عنوان

تخلف ورجعية، وبدائية وهمجية، وجاهلية جهلاء.

والزواج فى الإسلام قائم على أساس متين من التراضى أو الإيجاب والقبول المقترن بالشهود، وفى ظل من رقابة الشرع وإقراره، فليس كل تراض معتبر شرعًا، وإنما التراضى القائم على نظام معين هو المقبول الذى يقره الشرع، ولا قيمة لتراض مخالف نظام الشرع فى كل العقود.

لذا ارتضى الشرع نظامًا معينًا ووحيدًا للزواج، وهدم كل ما عداه، وألغى وأبطل كل ما سواه.

أسس الحياة الزوجية

والزواج طريق بناء الأسرة السوية القوية المتماسكة، إذا أقيمت دعائمه على أسس وطيدة ثلاثة هى:

١- يتطلب تكوين الأسرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، والتخلق بالأخلاق النبوية الإسلامية، والآداب الاجتماعية العالية، فإن فساد الأسر ينشأ من التهاون بهذه الآداب، ومن أخصها الرفق والحلم والتعاون والعدالة. روى ابن عساكر عن الإمام على كرم الله وجهه أن النبى ﷺ قال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى، ما أكرم

النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم)[١].

٢- الحياة الزوجية ذات هدف كريم، وشركة ذات مسؤوليات جسام، وعلى الزوجين تحمل أعباء هذه المسئوليات بهمة عالية وتعاون مستمر على السراء والضراء، وتربية يقظة للخلق ورعاية للأولاد، وهذا يتطلب تنظيم الأعمال بينهما داخل البيت وخارجه، على أن القوامة أو القيادة للرجل؛ لأنه أقدر من المرأة على مجابهة الصعاب، ورؤية المستقبل، وأكثر خبرة وفهمًا وتجربة بشؤون الحياة.. ونذكر أن أول خطاب يتعلق بالرجل والمرأة هو قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: ٣٥). فالخطاب لآدم بالذات ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ وجعلت المرأة فى معية الرجل، ونأخذ من هذا أن المسئولية مسئولية الرجل، وأن المرأة لها حقوق يكفلها الرجل، ولا يصح للرجل أن يفهم أن المرأة مجرد متاع أو مخلوق للخدمة والراحة، فللمرأة مشاعرها وعواطفها وكرامتها، كما أن للرجل حقوقه وعليه واجبات فى سبيل أسرته.

٣- العلاقة الزوجية يجب أن تبدأ وتستمر وتبقى على أساس الحب والتقدير والتفاهم المتبادل بين الزوجين،

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٣٧١/١٦ ح٤٤٩٤٣، وجامع الأحاديث ٣٩٨/١٢ ح١٢١٧١.

فالزواج علاقة عاطفية، لا شركة تجارية، لأن الشركات المادية تفلس غالبًا، والعلاقة الزوجية يجب أن تدوم وتستمر، لأن نسيجها فى الإسلام هو المودة والرحمة التى جعلها الله بين الزوجين، وعوض بها كلاًّ من الرجل والمرأة عن عاطفة الأبوة والأمومة، وعن حنان الأبوين إذا استقل الزوجان فى حياتهما. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

حقوق الزواج

ينشئ الزواج حقوقاً لكل من الزوج والزوجة مستقلة أو مشتركة، وأذكر هذه الحقوق بإيجاز: حقوق الزوج، وحقوق الزوجة، وحقوق الزوجين.

حقوق الزوج:

١- الطاعة:

يجب على الزوجة طاعة زوجها لأن الطاعة مجلبة للهناء والرضا، أما المخالفة فتولد البغضاء وتفسد العواطف، قال ﷺ: (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد

لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[١]، وهذا يدل على عظم حقه عليها، وهو أمر من سيدنا رسول الله ﷺ بطاعة الزوج، وقال ﷺ: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة)[٢] وقال ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، دخلت أى أبواب الجنة شاءت)[٣] فأضاف طاعة الزوج إلى أبنية الإسلام التى لا تدخل الجنة إلا بها، واشترط طاعته لدخولها.

٢- الاقتصاد فى المعيشة:

يجب على الزوجة الحفاظ على أموال الزوج، فلا تعطى شيئًا من بيته إلا بإذنه، فلا تكن مسرفة، فإنها لا تعلم ما فى الغيب وما تخفيه الأقدار، قال رسول الله ﷺ: (لا يحل لها أن تُطعم من بيته إلا بإذنه، إلا الرطب من الطعام الذى يُخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له

---

(١) سنن الترمذى ٣٦٣/٥ ح٩١٤٧، وسنن ابن ماجه ٣٠٥/٣ ح١٨٥٢.

(٢) سنن الترمذى ٤٦٦/٣ ح١١٦١، وسنن ابن ماجه ٣٠٧/٣ ح١٨٥٤، والمستدرك للحاكم ١٩١/٤ ح٧٣٢٨.

(٣) صحيح ابن حبان ٤٧١/٩ ح٤١٦٣، والمعجم الأوسط للطبرانى ٣٠٩/١٠ ح٤٧٥٤.

الأجر وعليها الوزر)(١). وهذا يعتبر الوسط ما بين الإفراط والتفريط، وقد أمر الله بالاقتصاد ونهى عن الإسراف فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (الإسراء: ٢٩)، وقال الرسول ﷺ: (ما أحسن القصد فى الغنى، ما أحسن القصد فى الفقر، ما أحسن القصد فى العبادة)(٢).

وقال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: (إنى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام فى يوم واحد).

ومن هنا نرى أنه يوجد نوعان من الزوجات: الزوجة المسرفة والزوجة المقتصدة.

فالزوجة المسرفة عدوة لنفسها ونكبة على زوجها، وكم من زوجة هدمت بيتها بسوء تصرفها فى مال زوجها.

أما الزوجة المقتصدة فإنها تعمل على الحفاظ على أموال زوجها لمستقبل الأسرة، وهى زوجة محبوبة وقريبة من قلب زوجها، وبذلك ترتقى بشأن الأسرة وسعادتها، وهذا يرجع لحسن تدبيرها.

أيتها الزوجة:

لا تكلفى زوجك ما لا يطيق، مراعية أحواله المادية،

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٤٧.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٣/٢٨ ح٥٢٩٤.

وارفعيه بتدبيرك للأحسن، لأن أكثر شيء تضيق به نفس الرجل هو كثرة طلب المال فى وقت ليس معه مال مما يؤدى إلى الدَّين، فإن الدَّين همٌّ بالليل ومذلة بالنهار، فمن ترد أن تكسب قلب زوجها فعليها أن ترى زوجها ثمرة تدبيرها، قال ﷺ: (وامرأة الرجل راعية على مال زوجها وهى مسئولة عنه)(١).

٣- التزين للزوج:

من المحزن أن ترى الكثير من السيدات يهملن التزين للزوج فى كثير من حياتهن، ويرجع هذا لاعتقاد الزوجة أنها ترفع الكلفة بينها وبين زوجها، ولكن احذرى أيتها الزوجة؛ فإن هذا يعتبر تقصيرًا فى حق الزوج، وهذا يؤثر على نفسيته وبالأخص حينما تتزينى عند الخروج لزيارة الأهل والأقارب.

ومن التزين النظافة، فنظافة البدن من الإيمان، والزوج عندما يرى زوجته نظيفة، فإنه يزداد حبًّا لزوجته، واحذرى أيتها الزوجة من اشمئزاز زوجك أن يشم منك رائحة كريهة.

ومن التزين للزوج الاغتسال من الحيض والنفاس والجنابة: وهذا من حقوق الزوج، وله إجبار زوجته على

(١) موطأ مالك ٣/٥٠٣ ح٩٩١.

ذلك، لأن النفس تعاف من وطء الجنب والحائض، ولأن الصلاة واجبة عليها، ولا تتمكن منها إلا بالغسل، ويملك الزوج إجبار زوجته الكتابية، أي: اليهودية والنصرانية، على الغسل من الحيض والنفاس.

٤ – المعاشرة بالمعروف:

قال الرسول ﷺ: (لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا)[١].

عليك أيتها الزوجة أن ترضى زوجك ولا تغضبيه، وأن تظهرى له الأخلاق الطيبة الحميدة وتتحدثى معه بكلام معسول، وعند غضبه؛ فعليك أن تمتصى غضبه حتى يهدأ، وإن كنتِ مخطئة فعليك بالاعتذار، وإن كان مخطئًا فلك أن تعاتبيه ولكن فى الوقت المناسب، وعليك احترام مشاعر الزوج، وآرائه وأفكاره والكلام الذى يتكلم به أمامك وأمام الآخرين فى شتى المواضيع فهذا أمر هام، وإياك أن تعيبيه أمام الآخرين فإن هذا يسبب رواسب فى نفسه قد تظهر لاحقًا، وعليك أيتها الزوجة ألا تنسى استخدام كلمة شكرًا عرفانًا للجميل، مع الثناء على

(١) سنن الترمذى ٣/٤٧٦ ح١١٧٤، وسنن ابن ماجه ٣/٤٢٢ ح٢٠١٤، ومسند أحمد ٣٦/٤١٧ ح٢٢١٠١.

الزوج فى حضوره وغيابه لأن هذا يزيد اعتزازه بك، وأن تكونى فى حالة وجود الزوج بالمنزل طلقة الوجه مستبشرة، وبهذا ينمو الحب بين الطرفين ويدوم إلى الأبد.

أيتها الزوجة أحب أن أنصحك أن الزوجة لا تفارق زوجها فى حالة إذا أصابته ضراء فى ماله أو بدنه فإن هذا قمة الوفاء وحفاظًا منك على البيت وعلى الترابط الأسرى قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

ومن الوفاء والحكمة فى معاملة الزوج ما جاء أن الإمام الحسن بن على بن الحسن قال لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرُك بيدك. فقالت: (قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنت حفظَه، فلَن أضيعه إذ صار بيدى ساعة واحدة وقد صرفته إليك) فأعجبه ذلك منها وأمسكها.

العفة:

عفاف المرأة فى الأسرة أن تتصرف فى غياب زوجها التصرف السليم الذى به تصونه وتحفظه، فالحياء حسن ولكنه من المرأة أحسن، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ

أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أفضل النساء التى لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، والإبقاء فى الصيانة على أهلها).

كذلك عليك عدم الاختلاط بالأجانب فى غياب زوجك فهو أسوأ ما يكون.

٥ - استئذان الزوج:

على الزوجة ألا تصوم تطوعًا إلا بإذن زوجها فإن صامت تطوعًا بغير إذنه جاعت وعطشت ولم يقبل منها، ومن حقه ألا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها أو تتوب لقول الرسول ﷺ: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان)[١]، ولا بأس بالحرة العفيفة أن تخرج لشيء لا بد لها منه من قضاء حوائجها قال ﷺ: (رخص لكن أن تخرجن فى

(١) سنن الترمذى ٤٧٦/٣ ح١١٧٣.

حوائجكن)[١]، وكذلك تخرجن فى الأعياد خاصة فقد أطلق ذلك رسول الله ﷺ ولكن لا تخرجن إلا بإذن أزواجكن وعن رضاهم، ولا تخرجن أيضًا إلا فيما يعنى مما لابد منه، وينبغى أن تعرض الزوجة نفسها على زوجها كل ليلة.

٦- السفر بالزوجة:

للزوج بعد أداء كل المهر المعجل أن يسافر بزوجته إلى مقر عمله إذا كان مأمونًا عليها.

حقوق الزوجة:

١ - الرفق وحسن المعاشرة:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٣٤)، وقال رسول الله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وألطفهم بأهله)[٢]. وقال ﷺ: (خيركم خيركم لنسائه ولبناته)[٣].

عليك أيها الزوج أن تتجمل بالأخلاق الحميدة

(١) مصنف عبد الرزاق ٦٨/٥ ح٩٠٢٠.

(٢) سنن الترمذى ٢٦١٢/٩/٥، ومسند أحمد ٢٤٢/٤٠ ح٢٤٢٠٤، والمستدرك للحاكم ١١٩/١ ح١٧٣.

(٣) شعب الإيمان للبيهقى ٤١٥/٦ ح٧٨٢٠، وكنز العمال للمتقى الهندى ٣٧١/١٦ ح٤٤٩٤٤.

وبحسن القيام على زوجتك فقد كان ﷺ يقول: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، والله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم – يعنى أسرى – أخذتموهن بعهد الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[1]، وقال ﷺ: (ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم)[2]، وقال ﷺ لعثمان بن مظعون رضي الله عنه: (فاتقِ الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا)[3].

وقد كان ﷺ يمزح مع أزواجه، ويقاربهن فى عقولهن فى المعاملة والأخلاق، وقال لقمان الحكيم: العاقل فى بيته ومع أهله كالصبى ، فإذا كان فى القوم وجد رجلاً، وقال ﷺ: (لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى)[4] قيل: هو الشديد على أهله، المتكبر فى نفسه. وكان ﷺ يسابق السيدة عائشة فى العدو فسبقته

---

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢١.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ١٦/٣٧١ ح٤٤٩٤٣، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٢/٣٩٨ ح١٢١٧١.

(٣) سنن أبى داود ١/٥١٩ ح١٣٧١.

(٤) سنن أبى داود ٤/٤٠١ ح٤٨٠٣.

يومًا وسبقها فى بعض الأيام فقال ﷺ: (هذه بتلك)[1]. وفى الخبر أنه كان ﷺ من أفكه الناس مع نسائه[2]. وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء.

فقال لى رسول الله ﷺ: (أتحبين أن ترى لعبهم، قالت: قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاءوا، وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفَّه على الباب ومد يده، ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله ﷺ يقول: حسبك، وأقول: اسكت، مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: يا عائشة حسبك، فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا)[3].

واحذر أيها الزوج أن تتبسط فى الدعابة والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبتك عندها، بل عليك أن ترعى الاعتدال فيه، حتى لا تصبح عبدًا لزوجتك، قال رسول الله ﷺ: (تعس عبد الزوجة)[4].

---

(١) سنن أبى داود ٢/٣٣٤ ح٢٥٨٠، وسنن النسائى الكبرى ٥/٣٠٤ ح٨٩٤٣، ومسند أحمد ٤٣/٣١٣ ح٢٦٢٧٧.

(٢) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٣

(٣) موطأ مالك ٣/٣٨٢ ح٩٠٥.

(٤) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٤.

٢ - الصبر على الزوجة واحتمال الأذى منها:

قال ﷺ: (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت وبها عوج، وإذا ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها)[1].

اعلم أيها الزوج أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، فقد جاء رجل إلى عمر ؓ يشكو إليه خُلق زوجته، فوقف ببابه ينتظره، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها، وهو ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل قائلاً: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالى؟ فخرج عمر فرآه موليًا فناداه: ما حاجتك يا أخى ؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خُلق زوجتى واستطالتها عليَّ، فسمعت زوجتك كذلك، فرجعت وقلتُ: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالى؟.

فقال عمر: تحملتها لحقوق لها عليَّ، فإنها طبَّاخة لطعامى، خبَّازة لخبزى، غسَّالة لثيابى، مرضعة لأولادى، وليس ذلك بواجب عليها، وسكن قلبى بها عن الحرام، فأنا أتحملها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك

(١) صحيح مسلم ٧/٤٠٠ ح٢٦٧٠.

زوجتى. قال: فتحملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة.

ودار حوار بين سيدنا رسول الله ﷺ وبين السيدة عائشة ؓ فقال لها: (إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى) فقالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال ﷺ: (إذا كنت عنى راضية تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت عنى غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم) قالت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك)[1]. ودفعت إحدى نسائه ﷺ فى صدره فزجرتها أمها ، فقال ﷺ: (دعيها فإنهن يصنعن أكثر من هذا)[2]، وجرى بينه ﷺ وبين عائشة ؓ كلام ، حتى أدخل أبا بكر ؓ بينهما حكمًا واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ: (تتكلمين أو أتكلم؟) قالت: بل تكلم أنت ولكن لا تقل إلا حقًا، فلطمها أبو بكر ؓ حتى دمى فوها وقال: أى عدوة نفسها، أو يقول غير الحق؟ بل أنت وأبوك تقولان الباطل ولا يقول رسول الله إلا حقًّا – نصرة لرسول الله ﷺ وغضبًا له – حتى استجارت بالنبى ﷺ ووقفت خلف ظهره، فقال له النبى ﷺ: (لَمْ نَدْعُكَ لهذا، ولَمْ نُرِدْ هَذا منك)[3].

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، وصحيح مسلم ١٢/١٨٧ ح٤٤٦٩.

(٢) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢٢٩.

(٣) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢٢٩.

وقالت له مرة فى كلام: أنت الذى تزعم أنك نبى، فتبسم رسول الله ﷺ حلمًا وكرمًا[1].

فلنا فى سيدنا رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فيجب على الرجل أن يصبر وأن يتحمل منها الأذى، فإنك مع كل هذا تحتاج إليها وتحتاج هى إليك قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).

وفى هذا السياق ما يدل على احتياج كل واحد إلى الآخر، من حيث الحفظ من العنت والفحش وغيرها، ووصف سبحانه البيت بالسكن فقال: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ (النحل: ٨٠)، وخصص سبحانه ذلك السكن فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

٣- تحرى الكسب الحلال:

احذر أيها الزوج أن تبيع آخرتك بدنياك فتجمع مالاً من غير أن تتحرى أهو من الحلال أم من الحرام، فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، فلا تطعمها إلا الحلال الطيب، فإن صبرت معك على البر والتقوى أمسكتها، وإن حملتك علي الإثم والعدوان فارقتها، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾ (النساء: ١٣٠)،

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٢.

ويقال: أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وولده، فيوقفونه بين يدى الله ﷻ، فيقولون: يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا فإنه ما علمنا ما نجهل، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم، قال: فيقتص لهم منه. وفى خبر: (إن العبد ليوقف للميزان وله من الحسنات أمثال الجبال، فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، حتى تستفرغ تلك المطالبات جميع أعماله، فلا يبقى له حسنة، فتنادى الملائكة: هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا، وارتهن اليوم بأعماله)[1].

وقال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته)[2].

٤- النفقة:

احذر أيها الزوج من البخل، فإن البخل يبلد المشاعر، وعليك بالكرم فى المأكل والمشرب والملبس، وقد سئل ﷺ: ماحق المرأة على الزوج؟ قال: (أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح،

(١) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢٢٦.

(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب المرأة راعية فى بيت زوجها ح٥٠٠٢.

ولا يهجر إلا فى البيت)[١]، وقال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله)[٢]. وقال ﷺ: (دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك)[٣]، وعليك الاعتدال فى النفقة فلا تقتر عليهن فى الإنفاق ولا تسرف بل ينبغى أن تقتصد، قال تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ (الأعراف: ٣١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٧).

٥- حق النسب:

يثبت للأولاد من الزوج حق النسب بمجرد وجود الزواج فى الظاهر، لما رواه الجماعة أن النبى ﷺ قال: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)[٤].

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/٣٠٣ ح١٨٥٠.

(٢) سنن الترمذى ٥/٧٠٩ ح٣٨٩٥، وسنن ابن ماجه ٣/٣٩٦ ح١٩٧٧.

(٣) صحيح مسلم ٥/١٦٠ ح١٦٦١.

(٤) صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب تفسير الشبهات ح٢٠٥٣، وصحيح مسلم ٧/٣٦٧ ح٢٦٤٥، وسنن أبى داود ٢/٢٤٩ ح٢٢٧٥، وسنن النسائى ٦/٤٩١ ح٣٤٨٢، وسنن الترمذى ٣/٤٦٣ ح١١٥٧، وسنن ابن ماجه ٣/٤١٧ ح٢٠٠٦.

٦- التعليم:

ينبغى على الزوج أن يقوم بتعليم زوجته أحكام الطهارة والحيض والنفاس والصلاة والصيام، وإن لم يفعل فليس له منعها من الخروج وسؤال العلماء.

الحقوق المشتركة بين الزوجين

كل ما ذكر يعد من الحقوق المشتركة بين الزوجين، لكن نضيف حقوقًا أخرى كما يلى:

١- حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر: على النحو المأذون فيه شرعاً، ما لم يمنع منه مانع.

٢- حرمة المصاهرة: تثبت حرمة الزوجة على أصول الزوج وفروعه، وحرمة أصول الزوجة وفروعها على الزوج، إما بنفس العقد أو بعد الدخول، والقاعدة فى ذلك: (العقد على البنات يحرم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرم البنات).

٣- حق الإرث بين الزوجين: يثبت التوارث بين الزوجين، فيرث أحدهما الآخر بالموت، فإذا مات أحد الزوجين أثناء الزوجية أو فى العدة من طلاق رجعى بالاتفاق، أو من طلاق بائن فى مرض الموت عند الجمهور غير الشافعية، ولو بعد العدة عند المالكية والحنابلة، لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ

يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء: ١٢).

٤ - يطلب من كلا الزوجين أن يحسن خلقه لصاحبه، وأن يرفق به ويتحمل أذاه وسوء طباعه: لقوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، قال ابن عباس: ربما رزق ولدًا، فجعل فيه خيرًا كثيرًا. وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا، رضى منها آخر)[1] أى: لا يبغضها.

أيها الزوج والزوجة:

عليكما أن تتعاملا بما أمر الله ورسوله ﷺ كى تكتمل الحياة الزوجية وينمو الحب والوفاء والمودة والرحمة، فإن الإنسان منا يحيا مرة واحدة، فعلينا أن نحظى بهذه الحياة لكى نبنى بيتًا سعيدًا ثم مجتمعًا سعيدًا ثم حضارة ومجدًا، ورسول الله ﷺ أول من صنع الحضارة، فنمى المجد الإسلامى، وانتشر النور بما أقامه الله فيه من الإخلاص لذاته، والصدق فى معاملته، والعمل بسنة نبيه ﷺ.

وإذا عرف كل منكما ما عليه من واجبات فأداها، وما له من حقوق فأخذها، والتزم كل منكما بآداب الزوجية،

(١) صحيح مسلم ٤١٧/٣ ح٢٦٧٢.

وما يجب على الزوج لزوجته، وعلى الزوجة لزوجها، صفت حياتكما، وعاش الزوج مقبلاً على الله مستريحًا من شر زوجته، وعاشت الزوجة مقبلة على الله فى راحة من عناء زوجها.. وكانت الأسرة السعيدة كما أرادها الإسلام.

الفصل الرابع
مرحلة الحمل

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

لقد بين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أن الأم إذا حملت تزداد كل يوم ضعفًا على ضعف، لأن الحمل كلما ازداد وعظم؛ ازدادت ثقلاً، وقيل: المرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل.

وقد بيّن الله تعالى فى القرآن الكريم ما للمرأة من دور هام تشارك به زوجها حيث يبث الله منهما الذرية الآدمية؛ قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

كما بيّن سبحانه وتعالى مدة الحمل والفصال - أى: الرضاع - على أقل تقدير منعًا لسوء الظن بالمرأة، حتى يتحقق الرجل أن أقل مدة الحمل ستة أشهر؛ فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً...﴾ (الأحقاف: ١٥)، فلو تزوج الرجل امرأةً ووضعت بعد

ستة أشهر؛ لا يسيء الظن بها لأن الغالب فى الحمل تسعة أشهر.

رفع رجل امرأته لأمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إن امرأتى ولدت لستة أشهر، فأمر أمير المؤمنين رضي الله عنه بإقامة الحد عليها، فبلغ ذلك سيدنا عليًّا بن أبى طالب كرم الله وجهه، فحكم بأن الولد للرجل وأن المرأة عفيفة، وطلب منه أمير المؤمنين الحجة، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾ (الأحقاف: ١٥)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، فإذا أسقطنا حولين من ثلاثين شهرًا كان الباقى ستة أشهر، فكبر سيدنا عمر، وقال: كاد عمر يهلك لولا عليّ رضي الله عنه.

ومن علامات الحمل انقطاع الحيض وألم الوحم، ومن علامات عدم الحمل نزول الحيض، ولكن هذه العلامات كلها لا تؤكد أن المرأة حامل ولا غير حامل، فإن كانت الزوجة قد قدَّر الله لها الحمل فهناك أعراض تتنابها، ومعاناة تتعرض لها، يجب على الزوج أن يتعرف عليها وأن يتهيأ نفسيًّا للتعايش مع زوجته وهى تتعرض لذلك، وأن يحسن التعامل معها، ويعينها على أن يمرَّا معًا من تلك المرحلة بسلام دون حدوث مشاكل قد تعكر عليهما صفو الحياة الزوجية.

مراعاة الحالة النفسية والعاطفية للزوجة

اعلم أيها الزوج: أن زوجتك الحامل تتعرض فى الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل إلى تغيرات عديدة، مما يؤدى إلى شعورها بالإرهاق والتعب والغثيان والاضطراب العاطفي، فيجب عليك مراعاة الحالة النفسية والعاطفية لزوجتك حتى تشعر بعطفك وحنانك عليها وحبك لها، وعليك أن لا تشعرها بأنك تتجنب مضاجعتها بسبب هذا الطارق؛ حتى لا يحدث اضطرابًا نفسيًّا عندها.

المعاشرة الزوجية فى مراحل الحمل

فى الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل: تقل رغبة الزوجة فى الممارسة الجنسية، ويكون مزاجها غير معتدل، فيجب أن تتحمل أيها الزوج زوجتك فى تلك المرحلة من الحمل، فإن لم ترغب الزوجة فى معاشرتك فلا تظن أنها لا تحبك أو أن الحب قلّ بينك وبينها، أو أنها تختلق أعذارًا حتى تتجنب معاشرتك، بل عليك أن تتفهم حالتها، وتتعامل معها باللطف واللين، وتمنحها قدرًا كافيًا من الحنانة والرعاية.

وفى الثلث الثانى من الحمل: قد تزداد الرغبة الجنسية لدى الزوجة، ولكن هذا يتفاوت من زوجة إلى أخرى، وفى حالة المعاشرة أثناء الحمل، على الزوج أن يكون

رفيقًا بزوجته، وحذرًا مما قد يؤدى إلى حدوث إجهاض.

وفى الثلث الأخير من الحمل: يجب على الزوج مراعاة الحالة النفسية والعاطفية لزوجته كما فى الثلث الأول، حيث تتراجع رغبة الزوجة فى الناحية الجنسية بسبب شعورها بالانزعاج والخوف من الولادة، أو بسبب كبر حجم بطنها، فلا يستحب أن تمارس أيها الزوج مع زوجتك أوضاعًا غير مناسبة حتى لا تصاب بمضرة، أو يتعرض الجنين لخطورة، ولا تنس أن تستشير الطبيب فى كل ما يعرض لك فى هذا الشأن.

وعلى الزوجِ أن يراعى هذه النصائح:

– الزوجة تحتاج أثناء الحمل إلى اللطف والمداعبة والتقبيل؛ سواء أعقب ذلك معاشرة زوجية أم لا، لأن هرموناتها تكون فى حالة غير مستقرة مما يشعرها بالضعف فى لحظات معينة.

وما على الزوج – خصوصًا فى تلك الأثناء – إلا التأسى بسيدنا رسول الله ﷺ الذى كان يمزح مع أزواجه، ويقاربهن فى عقولهن فى المعاملة والأخلاق، وفى الخبر: كان رسولُ الله ﷺ مِنْ أفكه الناس مع نسائه[1]، وقال لقمان الحكيم: العاقل فى بيته ومع أهله

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٣.

كالصبى؛ فإذا كان بين القوم وجد رجلاً.

– قد تكون المعاشرة أثناء فترة الحمل مفيدة للولادة خاصة فى الشهر الأخير؛ إلا إذا منع الطبيب ذلك.

– فى حالة الحمل الطبيعى المستقر الذى لا يصاحبه أى متاعب أو مشاكل؛ لا يؤثر الجماع على الجنين طوال فترة الحمل، ومع ذلك ينبغى الاعتدال فى الممارسة، وأن يرفق الزوج بزوجته عندما يغشاها، وأن يتجنب الأوضاع التى قد تؤدى إلى الإضرار بها أو بالجنين.

الأسباب التى يجب فيها الامتناع تمامًا عن المعاشرة الجنسية:

– إذا شعرت الزوجة بألم أسفل البطن – خاصة إذا كانت قد تعرضت إلى الإجهاض قبل ذلك – فينبغى على الزوج الامتناع تمامًا عن المعاشرة وعرضها على الطبيب المختص لمعرفة سبب هذا الألم.

– نزول دم – ولو نقطة واحدة – من المهبل؛ فمن الممكن أن يكون السبب إجهاضًا أو سقوطًا بالمشيمة، وينبغى عرضها على الطبيب المختص.

– الإحساس بانقباضات فى الرحم مما قد يؤدى إلى ولادة مبكرة.

– نزول سائل من المهبل؛ فمن الممكن أن يكون هذا السائل هو الأمنيوسى المحيط بالجنين، فالمعاشرة الجنسية

فى هذه الحالة قد تتسبب فى حدوث ولادة مبكرة أو حدوث التهابات فى الرحم وأضرار بالجنين.

أيها الزوج المسلم:

احذر أن تتشبه ببعض الأزواج الذين تجردوا من الدين أو الأخلاق أو الإنسانية؛ فيهملون زوجاتهم ويتركونهن بدون رعاية فى هذه المرحلة، فإنِ الزوج المسلم مطالب بأن يراعى ما يمليه عليه دينُه وخلقُه، وأن يتعامل فى هذه المرحلة بفطنة وحكمة حتى يدوم الاستقرار بينه وبين زوجته؛ بقيامه بما يجب لها عليه.

واعمل بنصيحة سيدنا رسول الله ﷺ: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي، ما أكرم النساءَ إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم)[1] وقوله ﷺ: (ارفق بالقوارير)[2].

فهلاً تأسينا بسيدنا رسول الله ﷺ لكى تستقيم الحياة الزوجية بالحب والمودة والرحمة كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

---

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ١٦/٣٧١ ح٤٤٩٤٣، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٢/٣٩٨ ح١٢١٧١.

(٢) سنن النسائى الكبرى ٦/١٣٥ ح١٠٣٦٢، ومسند أحمد ٢٠/١٦٤ ح١٢٧٦١.

الفصل الخامس
مرحلة ميلادُ طفلٍ

قال الله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل: ٧٢).

الولادة:

إن عملية الولادة لابد أن يهتم بها الزوج اهتمامًا بالغًا لأنها مرحلة تدعو للقلق والارتباك خوفا على الأم والمولود، فينبغى أن يباشر عملية الولادة الطبيب المختص صاحب الخبرة والكفاءة والمهارة، ومن الأفضل أن تقوم بذلك الطبيبة المختصة إلا إذا لم تتوفر فيها الخبرة والكفاءة فى ذلك، وهذا لضمان سلامة الأم وولدها.

البشرى بالمولود:

قال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ (مريم: ٧)، وقال جل شأنه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٥)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ﴾ (هود: ٦٩).

فالبشرى بالمولود ذكرها القرآن الكريم، وإن مما يُدخِل الفرح والبهجة والسعادة فى قلب الأب إخباره

بمجيء طفله إلى الدنيا، فمتى وُلد المولود استحب لمن حضر الولادة من النساء أو من كان قريبًا من مكانها وعلم الخبر أن يسارع إلى والده فيبشره بذلك المولود ذكرًا كان أو أنثى، فإدخال السرور على الوالد وأقاربه وأصدقائه أمر محبوب يدعو إليه الشرع الشريف ويرغب فيه، وهو عرف قديم يدل على التحابب والتآخى والتعاون على فعل الخير وصنع المعروف، وهو بشرى مزدوجة لأنها تنبئ الزوج على سلامة زوجته وسلامة المولود.

فعندما وُلدَ سيدُنا محمد ﷺ بشرتْ بمولده جاريةٌ اسمها ثويبة عمَّه أبا لهب ففرح بذلك وأعتقها، وقد ورد أن الله تعالى يخفف عن أبى لهب العذاب فى يوم الاثنين لفرحه بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ. ولا تقتصر البشرى بالمولود على الذكور فقط، بل إن الإسلام لا يفرق بين الذَّكَر والأُنثى فهما فى التكليف سواء، وقد تكون الأُنثى أنفع لأبويها من الذَّكَر.

روى عن الحسن البصرى أن رجلاً جاء إليه وعنده رجل قد وُلد له غلام، فقال له: يَهْنئك الفارس، فقال له الحسن: ما يدريك فارسٌ هو أم حَمَّار؟! قال: فكيف نقول؟ قال: قل: بُورك فى الموهوب، شكرتَ الواهبَ، وبَلَغَ أشُدَّه، ورُزقتَ برَّه.

وأسوتنا العظمى هو سيدنا رسول الله ﷺ الذى لاحت أمارات البشر والسعادة فى وجهه حين أذيع نبأ

مولد حفيده المبارك سيدنا الحسن بن الإمام عليّ كرم الله وجهه، فأخذه برفق، وضمَّه فى حنان بالغ، وراح يقبله قبلات حانية، وأول ما قرع سمعَه صوت رسول الله ﷺ بكلمات الأذان والإقامة، وكان الوالد المبارك الإمام عليّ كرم الله وجهه فرحًا عند قدوم ابنه للدنيا؛ إذ صار لرسول الله ﷺ ذرية منه، وقيل: إنه ﷺ فعل ذلك بأخيه الحسين عليهما السلام.

ومن منهج رسول الله ﷺ ما يلى:

الأذان والإقامة:

أول ما يطرق أذن المولود هو ذكر الله تعالى الذى يفر منه الشيطان الرجيم، قال ﷺ: (من وُلد له فأذَّن فى أُذنه اليمنى وأقامَ فى أُذنه اليسرى، لم تضره أمُّ الصبيان)(١) وأم الصبيان هى التابعة من الجن المسماة عند الناس بالقرينة.

وشهادة أن لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله هى الشهادة التى أول ما يُدخل بها الإسلام، وهى شعار الإسلام عند دخول العبد إلى الدنيا، ويصل أثر التأذين إلى قلبه ويتأثر به وإن لم يشعر، وفيه معنى آخر يقول به

(١) مسند أبى يعلى ١٢/١٥٠ ح٦٧٨٠، ومجمع الزوائد للهيثمى ٤/٩٥ ح٦٢٠٦.

بعض العلماء؛ وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سبحانه سابقة على دعوة الشيطان؛ كما كانت فطرة الله التى فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها.

التحنيك:

عن أبى موسى قال: (وُلد لى غلام فأتيتُ به النبى ﷺ فسمّاه إبراهيم، وحنّكه بتمرة، ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ)(١).

فالتحنيك سنة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وطريقتها أن يُحَنِّك الصبى بتمرة بأن يدلك بها فم المولود من الداخل، وهذا يكون فى الأيام الأولى من ولادته.

القيمة الغذائية للتمر:

يحتوى التمر على الحديد والمعادن كما يحتوى على الفيتامينات وكمية كبيرة من السكر والبروتينات، ويعتبر غذاءً كاملاً مفيدًا للأطفال حيث يمدهم بالطاقة وتكوين المناعة ضد الأمراض؛ مما يستفيد منه المولود فى ذلك الوقت.

(١) صحيح البخارى، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق وتحنيكه ح٥٤٦٧.

ما يُجرَى فى اليوم السابع للمولود

عن سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ قال: (كل غلام رهين بعقيقته تُذْبَحُ عنه يوم سابعه ويُحلَق رأسه ويُسَمَّى)(١).

١- العقيقة:

عن سلمان بن عامر الضبى أن رسول الله ﷺ قال: (فى الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمًا وأميطوا عنه الأذى)(٢)، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نعق عن الغلام شاتين وعن الجارية شاة)(٣).

فيستحب فى اليوم السابع من ولادته أن يقوم والده – أو من يسد مسده – بذبح شاة واحدة إذا كان المولود أُنثى؛ وشاتين إذا كان المولود ذَكرًا؛ أو شاة واحدة إن لم يستطع أن يذبح شاتين.

وقد ذكر العلماء أن العقيقة لا تفوت بتأخيرها عن السبعة، ولكن يستحب أن لا يؤخر عن سن البلوغ، قال سيدنا رسول الله ﷺ: (العقيقة تذبح لسبع، أو أربع

(١) سنن النسائى ١٨٦/٧ ح٤٢٣١.

(٢) سنن النسائى ١٨٤/٧ ح٤٢٢٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٥٧٨/٤ ح٣١٦٣.

عشر، أو إحدى وعشرين)(١)، ونفهم من ذلك أنه يجوز ذبح العقيقة فى هذه الأيام إن كان ذلك مستطاعًا.

أما فى حالة عدم الاستطاعة نهائيًّا؛ فمن الممكن أن يقوم الشخص بعمل العقيقة عن نفسه بعد ذلك، قالَ الحسنُ البَصْرِيّ: إذَا لَمْ يُعَقَّ عنكَ فَعُقَّ عَنْ نفسِك وإِن كنتَ رَجُلًا.

ويُستحب فى العقيقة ما يُستحب فى الأضحية من الصدقة وتفريق اللحم، فالذبيحة عن الولد فيها معنى القربان والشكران والفداء والصدقة.

والاجتماع علي العقيقة يزيد الترابط الاجتماعى والألفة والمحبة بين أسرتى الزوجين، ولا ننسى نصيب الفقراء من تلك العقيقة لما لذلك من أهمية؛ فقد قال ﷺ: (شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة يُدعَى لها الأغنياءُ ويُترك الفقراءُ، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله)(٢).

ويستحب للرجل أن يذبح عقيقته إن استطاع، وأن

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ١٠٨/١١ ح٥٠٣٩، والمعجم الصغير للطبرانى ٢٩/٢ ح٧٢٣، ومسند الفردوس للديلمى ٢٨٢/١ ح٤٢٣٢، ومجمع الزوائد للهيثمى ١٢٣/٧ ح٢٦٠٢، وكنز العمال للمتقى الهندى ٤٣٣/١٦ ح٤٥٢٩١، وجامع الأحاديث للسيوطى ٣٥٨/١٤ ح١٤٢٨٦.

(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ح٥١٧٧.

يسمى الله ويقول ما قاله رسول الله ﷺ عندما عق عن الحسن والحسين عليهما السلام، قالت عائشة رضي الله عنها: عق النبي ﷺ عن الحسن والحسين وقال: (قولوا: بسم الله والله أكبر، اللهم لك وإليك عقيقة فلان)[1].

والمستحب كما يقول أهل العلم أن يفصل أعضاءها ولا يكسر عظمها؛ تفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود.

٢- حلق شعر الرأس:

يستحب حلق شعر الصبى والتصدق بوزنه فضة، فقد روى مالك في موطئه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: (وزنت فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ شعرَ حسن وحسين وزينب وأم كلثوم فتصدقتْ بزِنَة ذلك فضة)[2] وهذا الحديث يبين أن حلق الرأس والتصدق بزنة شعره ليس خاصًّا بالصبى الذَّكَر؛ وإنما هو عام فى الذَّكَر والأُنثى.

وحلق رأس المولود فيه مصلحة من حيث تحسين الشعر، وانتفاع الفقراء بالصدقة.

٣- التسمية:

قال رسول الله ﷺ: (إنكم تُدعون يوم القيامة

---

(١) سنن البيهقى الكبرى ٩/٣٠٣ ح١٩٧٧٢.

(٢) موطأ مالك ٣/٤٧٧ ح٩٤٦، وسنن البيهقى الكبرى ٩/٣٠٤ ح١٩٧٧٤.

بأسمائكم وبأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم)[1].

يُفهم من هذا أن على الأبوين أن يمعنا النظر فى تسمية المولود بحيث يختارا له اسمًا طيبًا حسناً، فلا يسمونه اسمًا يستقبحه الناس، أو يستنكره الطفل بعد أن يكبر ويعقل؛ كأن يكون اسمًا يوحى بالتشاؤم، أو يذم معناه، فيكون ذلك سببًا فى عقوق الأبناء لوالديهم.

لما ولدت السيدة فاطمة سيدنا الحسن عليهما السلام قالت للإمام على عليه السلام: سمّه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله، فجاء رسول الله ﷺ فأُخرج إليه فى خرقة صفراء، فقال: (ألم أنهكم أن تلفوه فى خرقة صفراء) ثم رماها وأخذ خرقة بيضاء ولفّه بها، ثم قال لعلى عليه السلام: هل سمّيته؟ فقال: ما كنت لأسبقك باسمه، فقال ﷺ: (وما كنت لأسبق باسمه ربى عز وجل)، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط فأقرئه السلام وهنئه وقل له: إنَّ عليًّا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبرائيل عليه السلام فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، قال: (وما كان اسمه؟) قال: شبّر، قال: (لسانى عربى)، قال: سمّه الحسن، فسمّاه

---

(١) سنن أبى داود ٤/٤٤٢ ح٤٩٥٠.

الحسن(١).

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ؓ يشكو إليه عقوق ابنه وسوء معاملته له، ولما مثل الولد بين يدى أمير المؤمنين سأله: أليس للولد حقوق على أبيه؟ فقال سيدنا عمر: بلى، أن ينتقى أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن الكريم، فقال الولد: إن أبى لم يفعل شيئًا من ذلك، أما أمى فهى جارية كانت لمجوسى، وقد سمانى جُعَلاً – أى: حيوان كالخنفساء يكثر فى المواضع الندية، ومن الناس الأسود الدَّميم –، ولم يعلمنى من كتاب الله حرفًا واحدًا.

إلى كلا الزوجين:

إن الحياة الزوجية السعيدة؛ وبناء الأسرة الكريمة؛ إنما يتحقق بالتأسى بسيدنا رسول الله ﷺ فى كل ما ذُكر، ليتسنى لنا بناء الأسرة على الأساس الصحيح؛ لتكون لبنة فى جسد مجتمع فاضل، وأمة إسلامية متحابة مترابطة.

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للفيروزآبادى ٣/١٧٠، وذخائر العقبى للطبرى ص٢٠٨، وموسوعة المصطفى والعترة للشاكرى ٥/٢٨ بتصرف.

البنت حسنة للثواب

والولد نعمة للسؤال

قال الله تعالى: ﴿لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩– ٥٠).

إن الله تعالى بين أن البنت كالابن هبة ونعمة منه سبحانه يهبها لمن يشاء من عباده، فالله تعالى يفعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوان.

ولا شك أن القرآن الكريم كان يهدف إلى إلغاء النظرة الجاهلية بشأن مولد البنت، فقد تكون البنت أعظم أثرًا وأخلد ذكرًا من كثير من الأبناء الذكور، ومن ذلك ما ضربه الله تعالى مثلاً فى قوله سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: ١١– ١٢).

وقد جعل المصطفى ﷺ الإحسان إلى البنات أو الأخوات سببًا فى دخول الجنة؛ فقال ﷺ: (لا يكون

لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة)(١).

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: (الْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ، وَالْبَنُونَ نِعْمَةٌ، فَإِنَّمَا يُثَابُ عَلَى الْحَسَنَاتِ، وَيُسْأَلُ عَنِ النِّعْمَةِ).

وقد اعتبر الإسلام أن التسخط من مولد الإناث ليس من خلق المسلم، بل هو من أخلاق عرب الجاهلية الذين ذمهم الله عز وجل في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل:٥٨- ٥٩).

وقديمًا قال شاعرهم:

لكل أب بنت يرجى بقاؤها
ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها، وبعل يصونها
وقبر يواريها، وخيرهم القبر

ومن مأثوراتهم: أحب أصهارى إلىّ القبر!!.

فعلى الأبوين ألا يحزنا إن رزقهما الله بأنثى، فالأنثى عطية من عطايا الله تعالى؛ توجب على العبد شكره سبحانه.

---

(١) سنن الترمذى ٣١٨/٤ ح١٩١٢.

الرضاع

قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة:٢٣٣)، هذه الآية تبين أن الأمهات أَوْلى برضاع أولادهن من سواهن، فهذا يكوّن ارتباطًا نفسيًا قويًا بين الأم والطفل، فينمو الطفل فى جو من الاستقرار النفسيّ، وقد ثبت بالتجربة العلمية بأن عملية الإرضاع وما يصاحبها من مداعبة للطفل وضمه لصدر الأم والهزهزة أمر فى غاية الأهمية، وله تأثيره على سلوك الطفل حاضرًا ومستقبلاً.

بالإضافة إلى ما يحتويه لبن الثدى من عناصر غذائية تضمن نموًا طبيعيًا للطفل وإكسابه مناعة، حيث إن لبن الثدى به القدر الكافى من سكر اللاكتوز – حوالى ٧ جم فى كل ١٠٠سم٣ – وهو سكر سهل الهضم والامتصاص فى الأطفال، وكذلك يحتوى على نسبة دهون مثلى، وقد تصل كمية البروتينات فى لبن الأم إلى ١ جم تقريبًا فى كل ١٠٠سم٣ من اللبن، وهى مكونة من الأحماض الأمينية اللازمة لنمو الطفل ولجهازه العصبى، كذلك من مكونات لبن الأم المعادن والعناصر والفيتامينات اللازمة لحياة الطفل، ويعتبر المصدر الرئيس للكالسيوم المهم فى تكوين عظام الطفل، كما يوجد به الإنزيمات الهاضمة،

كما أن لبن الأم يحتوى على الأجسام المضادة اللازمة للمناعة ضد الأمراض وبالتالى فإن هذا هو الغذاء الأمثل للطفل فى تلك الفترة.

وقد جعل سبحانه لنهاية الرضاع مدة عيّنها سبحانه بقوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ والحولان سنتان هلاليتان، فإذا أراد الوالد أن يفطم الولد قبل العامين ولم ترض الأم فليس له أن يقهرها، وكذلك إذا أرادت الأم أن تفطمه قبل الحولين ولم يرض الوالد فليس لها أن تفطمه، وقد انتهى بحث الأطباء إلى حقيقة: هى أن الأولاد إذا فطموا قبل السنتين كثرت الوفيات منهم ، وإذا رضعوا السنتين قلّت الوفيات منهم، لأن أعضاءهم الباطنية تكون غير قابلة للأغذية النباتية وغيرها.

وعلى الأم فى حالة الإرضاع أن تصبر على مولودها؛ فلا تستعجله ولا تمل.

ونوصى ألا ترضع الأمُّ الولدَ بعد الجماع حتى تطهر، فإنها إن أرضعته على غير طهارة سبب ذلك أمراضًا للمولود؛ لأن الجماع يزيد من تدفق الدورة الدموية فى الجسم وبالتالى هذا يؤثر على اللبن بالتديين؛ فإذا أُرضع الولد عقب الجماع مباشرة اعتل.

أما فائدة الرضاعة الطبيعية بالنسبة للأم فإنها تساعد على سرعة عودة رحم الأم للحجم الطبيعى قبل الحمل مرة أخرى، كما تعمل على تقليل الدم فى فترة النفاس

وهى من أهم الأسباب الوقائية من سرطان الثدى لدى السيدات.

تأخر الإنجاب

أما فى حالة تأخر الإنجاب فعلى الزوجين ألا يقلقا ولا يستعجلا الإنجاب، فمن الممكن أن يمكثا على الأقل أربع سنوات على هذه الحال، وقد يزيد، ومثال ذلك ما حدث مع سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث رزق الولد على الكبر فقصَّ الله قوله: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾ (إبراهيم: ٣٩).

وللزوجين أن يذهبا إلى الطبيب المختص لإجراء التحاليل اللازمة لمعرفة سبب ذلك، ويمكن اللجوء إلى تقنية التلقيح الصناعى – أطفال الأنابيب – بشرط أن يكون التلقيح بماء الزوج مع الاحتياط والتأكد من ذلك، أما إذا كان بغير ماء الزوج فهو حرام(١).

والتلقيح بماء الزوج يعتبر علاجًا في العلم الحديث، وهذا يظهر من قول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا﴾ ولم يقل: ويخلق من يشاء عقيمًا؛ فإن الخلْق هو الإيجاد

---

(١) كتاب (بيان للناس) للدكتور جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق.

المبدئى من العدم، أما (الجَعَل) فهو فعل يعنى تقدير أو إنتاج أو إضفاء هيئة معينة وحالاً معينا على شيء، فقوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ يفتح باب الرحمة ويسمح بمحاولة العلاج وحل تلك المشكلة بالأساليب الحديثة.

وسعْى العقيم للإنجاب والأخذ بالأسباب المشروعة لتحقيق ذلك لا ينافى التوكل على الله ولا ينقص الإيمان، فالإنسان مفطور على حب الولد ، ويؤيد هذا ما روى أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: (نعم، فإن الله لم يُنزل داءً إلا أنزل له شفاءً، عَلمه مَن علمَه، وجَهِلَه مَن جَهِلَه)[1]، وفى هذا الحديث الشريف بيان أن الشفاء ممكن.

وعلى الزوجين أن يتحليا بالصبر، وأن يتضرعا إلى الله تعالى بالدعاء كما فعل سيدنا زكريا عليه السلام لما رأى سعة قدرة الله ولطفه وكرمه ورعايته لمريم عليها السلام برزقها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء، فطمع فى استجابة ربه أن يرزقه الولد فدعاه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ *

---

(١) مسند أحمد ٧/٢٧١ ح٤٢٣٦.

فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٣٧ - ٤٠).

وهذا أيضًا يفتح باب الأمل لمن تأخر فى الإنجاب، ويعلمنا الصبر والرضا بما قدّر الله سبحانه، وقد حكى النقاش أن قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ... الآية﴾ نزلت في الأنبياء خصوصًا وإن عمَّ حكمُها، وهبَ للوط الإناث ليس معهن ذكر، ووهب لإبراهيم الذكور ليس معهم أنثى، ووهب لإسماعيل وإسحاق الذكور والإناث، وجعل عيسى ويحيى عقيمين؛ ليكونوا عبرة وعظة لنا قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١).

وقد تقتضى حكمة الله تعالى أن يعجز الإنسان بعلمه أن يعالج داء، إجلالاً وإعظامًا للقادر العليم سبحانه، فاعلم أنه ربما صرف الله عنك الولد لطفًا بك، ودفعًا لشر قد يلحق بك من هذا الولد، لعلم الله السابق أنك لو رُزقت ولدًا لكان فتنة لك فى دينك وشغلاً عن طاعتك وعذابًا لك وهمًّا؛ كما قص الله سبحانه عن سيدنا الخضر حينما قتل الغلام فتعجب سيدنا موسى عليه السلام، قال تعالى حاكيًا عن سيدنا الخضر: ﴿وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن

يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ (الكهف: ٨٠-٨١)، قال مطرف: (فرح به أبواه حين وُلد، وحزنا عليه حين قُتل، ولو بقى لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له فيما يحب).

وجميلٌ أن يرضى الزوجان بحياتهما الزوجية المشتركة مع عدم الإنجاب؛ وأن يكون كل منهما وفيًّا للآخر حريصًا على استدامة العِشرة معه، فإن نغَّص عليهما حياتَهما عدمُ الإنجابِ؛ وغلب على أيِّهما أو كليهما أثرُ التضرر؛ واستحالت حياتهما إلى شقاق؛ وتشتت حالُهما وتنكد عيشُهما؛ فللزوجة حينئذ أن تطلب الطلاق، وللزوج أن يتزوج عليها أو أن يطلقها بحسب ما يقتضى الأمر.

نسأل الله تعالى أن يُسلِّم الأم وولدها من الأمراض، وأن يرزق الزوجين الذرية الصالحة التى تعينهم على طاعة الله ورسوله، وأن يوفقنا ويعيننا على العمل بما يحب ويرضى.

الفصل السادس
مرحلة ما بعد الولادة

تعد مرحلة ما بعد الإنجاب من أدق المراحل فى حياة الزوجين، لأن فيها تتحول المرأة إلى أم مسئولة، تتعدد اهتماماتها، فهى مسئولة عن زوج، وعن بيت، وعن طفل بشتى احتياجاته من رضاعة ورعاية وسهر وتربية، وهذا يشكل تغييرًا كبيرًا فى حياتها، فلابد للمرأة أن تكون مؤهلة لذلك. أما الزوج - الذى كان لا وَلد له - فقد صار مسئولاً عن ابنه الذى طرق باب الحياة حديثًا، وبميلاد ولده أصبح أبًا، وازدادت مسئوليات ذلك الراعى المسئول عن رعيته.

وفترة ما بعد الولادة لها ضوابط خاصة لابد أن يراعيها كلا الزوجين، حتى تكون الحياة سوية سعيدة، ومن هذه الضوابط ما يلي:

اهتمام الزوجة بزوجها بعد الإنجاب:

يخطئ كثير من النساء بالاهتمام البالغ بأطفالهن مع إهمال أزواجهن، وذلك لاعتقادهن أن الطفل أكثر احتياجًا إليهن من الزوج، وهذا خطأ، لأن الزوج يحتاج أيضًا إلى اهتمام زوجته به، وإحساس الزوج بالإهمال يجعله عصبيًا متعكر المزاج، وفى حالة اضطراب نفسىّ وعاطفىّ، وقد

تعتقد الزوجة - أو يخيل إليها - أن زوجها غير مُقدِّر للوضع الجديد بأنها صارت أُمًّا يجب عليها مراعاة المولود، وأن على زوجها أن يتفهم ذلك، فيزداد التوتر، وقد تدب بينهما الخلافات، وقد يتعرض البيت - الذى كان هادئًا من قبل - لظروف تعصف به بسبب هذا المولود.

لذا يجب على الزوجة مراعاة حال زوجها، والاهتمام به، ومحاولة إشراكه معها فى مسئولية المولود، بالحب والتفاهم والمودة والرحمة، حتى لا يضيق الزوج بذلك الوافد الجديد الذى استحوذ على اهتمامات زوجته، أو يتضرر بسبب تقصير زوجته فى حقه؛ أو إهمالها إياه.

مراعاة الحالة الاقتصادية للزوج:

ويجب على الزوجة أيضًا مراعاة الحالة الاقتصادية للزوج، وعدم تقليد زوجات أخريات فيما يجلبنه لأطفالهن من ضروريات غالية الثمن يمكن أن يستعاض عنها بما هو أقل ثمنا، أو شراء كماليات تفوق طاقة الزوج، مما يرهقه ماديًّا، كشراء كمية كبيرة من الملابس للطفل يمكن الاستغناء عن كثير منها.

لأن الطفل فى حالة نمو سريع وسيحتاج إلى غيرها بعد فترة قصيرة، والإسراف منهى عنه شرعًا، علاوة على أن الطفل سيتعود على مستوى معين من المعيشة قد تَحُول الظروف دون المحافظة عليه، مما يسبب مشكلات

كانت الأسرة فى غنى عنها لو رشَّدت مستوى إنفاقها.

ما يجب على الزوج مراعاته:

أيها الزوج: عليك أن تقدِّر ما تعانيه زوجتك من تغيرات جسدية بعد الولادة قد تؤثر عليها نفسيًّا، وكذلك حالة القلق والاضطراب من الوضع الجديد الذى يحملها أعباء إضافية، فخفِّف عنها تلك الأعباء بمساعدتها فى رعاية طفلكما، وقلِّل من مطالباتك لها بما كانت تقوم به لك من قبل، ولا تنس أن الكلمة الطيبة منك لزوجتك قد تسعد أوقاتها، وتنسيها متاعبها، بدلاً من إلقاء اللوم عليها، أو المقارنة بينها وبين والدتك التى كانت شديدة التحمل فى مثل تلك الظروف، فلا تنس أن الزمان قد اختلف، وأن الناس قد اختلفت طبائعهم وعاداتهم باختلاف الزمان.

فاصبر لتمرَّ هذه المرحلة بحب وود ووئام، وعليك أن تتحمَّل زوجتك، وهيئ نفسك للتعايش مع هذا الشكل الجديد من أشكال الحياة، مع المحافظة على كيان أسرتك، وإياك أن تعمل على أن يستقل كل منكما بشأنه الخاص دون مراعاة ظروف الآخر، فتقلّ بينكما كلمات المحبة ومشاعر المودة، ويقتصر أمركما على الاجتماع على مائدة الطعام.

وكلامكما عن الإنفاق والتشكى من المسئوليات والتضجر من الظروف، لأن ذلك قد يوسع الشقاق بينكما،

ومن الأزواج من يعالج هذه الأمور بغير حكمة، فقد يطلّق زوجته، أو يسعى للزواج بغيرها، ظنًّا منه أن الزوجة الجديدة ستكون خالية من العيوب – وهذا مستبعد – فيضيف إلى مشكلاته مشكلة أخرى.

فشارك زوجتك ظروف الحياة وأعباءها، وليسعد كل منكما بتلك الثمرة التي وهبها الله لكما زينة لدنياكما، قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف: ٤٦)، ومن الباقيات الصالحات كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة، يقول الإمام عليّ كرم الله وجهه: (الحرث حرثان؛ فحرث الدنيا: المال والبنون، وحرث الآخرة: الباقيات الصالحات، وقد يجمعهن الله لأقوام).

كما يجب مراعاة ألا يعاشرها معاشرة جنسية أثناء حيض أو نفاس لقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

الفترة بين الولادتين

من الناس من يسعى لتنظيم النسل بمحاولة إطالة الفترة بين المولودَيْن أكثر مما يلزم، ومنهم من يحاول توالي الإنجاب، ولكلٍّ من المسلكين عيوبه، والخير أن نبتغي

الوسطية فى أمورنا كلها، وقد تكون فترة ثلاثة أعوام بين المولودَيْن فترة مناسبة.

منع الحمل:

إن موضوع منع الحمل موضوع يطول الكلام فيه، ولكن أكتفى هنا بذكر جزئية مما ورد فى تفسير الإمام المجدّد أبى العزائم: (أسرار القرآن) من أنه إذا قرر الطبيب المسلم الموثوق فيه ضررًا يحصل للأم بسبب الحمل؛ فيكون لها ولزوجها مبررًا لاتخاذ الوسائل التى يقررها ذلك الطبيب المسلم لمنع الحمل دفعًا للضرر الذى يترتب عليه، والضرورات تبيح المحظورات، وهذا استنادًا إلى موافقة سيدنا رسول الله ﷺ على العزل، وهو الوسيلة التى كانت موجودة فى زمنه ﷺ، مع تفويض الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء.

العزل:

العزل هو وسيلة من وسائل منع الحمل، وله فوائد منها: سهولته.. لا يكلف شيئًا ماليًا.. لا يحتاج لأدوية أو عقاقير.

وللعزل أضرار منها: ربما أدى إلى البرود الجنسى عند المرأة أو العنة لدى الرجل، ونسبة الفشل فيه تصل إلى ٢٠%، وقد يسبب احتقانًا بالأعضاء التناسلية لدى المرأة.

وقد انقسمت آراء الفقهاء فيه إلى ثلاثة أقسام:

١- **جواز العزل:** بشرط إذن المرأة، وبهذا قال الجمهور من العلماء.

٢- **كراهية العزل:** وبهذا قال أكثر الشافعية ورواية عن الحنابلة.

٣- **تحريم العزل:** وبه قال ابن حزم وبعض مشائخ الحنفية والرويانى من الشافعية ورواية عن الحنابلة.

والرأى الراجح: هو القسم الأول لقوة أدلته وضعف أدلة الأقسام الأخرى بنفسها من جهة، أو بمناقشتها من جهة أخرى.

كثرة الولادة ليست سببًا للفقر:

وعلى الزوج أن يعلم أن كثرة الولادة ليست سببًا للفقر وانخفاض مستوى المعيشة، ولكن سببهما المباشر هو الكسل والجهل بقيمة العمل وبالعمل نفسه، إذن ترك العمل كسلاً أو جهلاً هو السبب الموجب للفقر وانخفاض مستوى المعيشة؛ وليست كثرة الأناسيّ، بل إن كثرة الناس معناها كثرة الأيدى، ولو عملت الأيدى الكثيرة لخير الأمة فى مختلف الحرف والمهن، لكان أعظم ثروة تملكها الأمة الثروة البشرية، ولما هان أمر الإنسان كذلك حتى يمنع

من ظهوره فى الوجود[1]، قال ﷺ: (تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة)[2]، وقال ﷺ: (خيرُ نسائكم الودودُ الولودُ)[3].

ضوابط كثرة الإنجاب:

ولكن كثرة الإنجاب قد تزيد العبء على الوالدين، خاصة فى عصرنا هذا، كما أن التربية الأخلاقية الإسلامية تواجه مصاعب جمة بسبب تأثر المجتمعات الإسلامية بالعادات والتقاليد الغربية الوافدة، وبسبب القصور فى مناهج التعليم فى جميع مراحله، والتسيب السائد فى بعض وسائل الإعلام الذى اخترق حياة الناس ولوث المفاهيم الصحيحة، وغير ذلك مما يجعل بناء الشخصية الإسلامية السوية أكثر صعوبة، فقلة الإنجاب فى ظروف كهذه قد تقلل من الصعوبات التى يواجهها الوالدان فى تربية أبنائهما، ولمن يسَّر الله له سبيل التربية الأخلاقية الإسلامية والقدرة على احتواء أبنائه وحسن توجيههم؛ أن يتوسع فى الإنجاب، مع مراعاة الحالة الصحية للزوجة.

---

(١) أسرار القرآن ج٥.

(٢) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢١٤.

(٣) سنن البيهقى الكبرى ٧/٨٢ ح١٣٨٦٠.

حب الأولاد

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

الأولاد هم ثمار القلوب، وعماد الظهور، وهم من زينة الحياة الدنيا وبهجتها، بهم تسر النفوس، وتقر العيون قال سبحانه وتعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦).

وحب الأبوين لأولادهما حب بالفطرة، والوالدان هما مظهر الحنان والرحمة والشفقة بما أودعه الله فيهما من تلك المعاني، ولولا ذلك ما اهتم الوالدان برعاية أولادهما، ولا بكفالتهم، ولا بالقيام بأمورهم، والسهر من أجلهم، وأسوتنا العظمى هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أنس صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ما رأيتُ أحدًا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(١).

وقد ظهر جليًا حبه صلى الله عليه وآله وسلم لابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم عنهما: (اللهم أحِبَّهما فإنى

(١) صحيح مسلم ١١/٤٥٣ ح٤٢٨٠.

أحبهما)(١).

لكن على الوالدين أن يترجما عن محبتهما لصغيرهما بما يثمر خيرًا، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأمّا حق الصغير فرحمته، وتثقيفه، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته...)، ونعمت المحبة التى يفاض منها ذلك الخير على الشخصية المسلمة منذ نعومة أظفارها.

التوازن فى محبة الأولاد

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال:٢٨)، أَى: واعلموا - أيها المؤمنون - أن أموالكم التى استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده؛ أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟، فعلى الأبوين الاهتمام بحسن تنشئة الأولاد، وليدعوا الله تعالى بما دعا به عبادُ الرحمن الذين أخبر الله عنهم فى كتابه:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤) ومع الدعاء يجب الأخذ بالأسباب، فيراعَى التوازن فى معاملة الأولاد، فلا

(١) صحيح البخارى، كتاب فضائل الصحابة، باب حدثنا الحسن بن محمد ح٣٧٣٥.

مبالغة فى اللين معهم مبالغة تدفعهم إلى التسيب والفساد، ولا مغالاة فى الشدة بما يضرهم فى الدين والدنيا، وذلك يحتاج إلى تعاون وثيق بين الأبوين ليقوم كل بدوره.

مظاهر حب الوالدين للأولاد

أولاً: النظرة إلى الطفل ببشاشة

النظرة إلى الطفل ببشاشة تُشعِره بالراحة والطمأنينة، وتغرس المحبة فى قلبه لوالديه، وتربطه بهما رباطًا وثيقًا.

ثانيًا: التقبيل

وهو تعبير عمليّ عن الحب والرحمة بما يلائم عقل الطفل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كنتُ عند النبى ﷺ وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن عليّ، وهو تارة يقبّل هذا، وتارة يقبّل هذا)[1] وكان ابنه ﷺ - سيدنا إبراهيم - مسترضعًا فى عوالى المدينة وكان ينطلق فيدخل البيت فيأخذه ويقبله ثم يرجع.

وفى رواية أن الأقرع بن حابس أبصر النبى ﷺ وهو يقبّل حسينًا، فقال: إنّ لى عشرة من الولد ما فعلت

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢٤/٥٢، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ٢٠٤/٢.

هذا بواحد منهم، فقال رسول الله ﷺ: (من لا يَرحَم لا يُرحَم)[1]، وقال ﷺ: (من قبّل ولدَه كتبَ الله له حسنة، ومَن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة...).

ثالثًا: الاهتمام به

فالطفل يحب من يهتم به ويرعاه، فقد ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِي ﷺ يَخْطُبُ؛ فَجَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهما السلام وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ؛ فَنَزَلَ ﷺ فَحَمَلَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا)[2].

وعن أبى هريرة قال: كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذًا رفيقًا ويضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذيه[3].

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ح٥٩٩٧، وصحيح مسلم ٤٥٥/١١ ح٤٢٨٢.

(٢) سنن النسائى ٢١٢/٣ ح١٥٨٤، وسنن النسائى الكبرى ٥٥١/١ ح١٧٩٠، وسنن الترمذى ٦٥٨/٥ ح٣٧٧٤.

(٣) مسند أحمد ٣٨٦/١٦ ح١٠٦٥٩.

ودخل الحسن وهو ﷺ يصلى وقد سجد، فركب على ظهره، فأبطأ فى سجوده حتى نزل الحسن، فلما فرغ قال له بعض أصحابه: يا رسول الله لقد أطلت سجودك، قال: (إن ابنى ارتحلنى فكرهتُ أن أعجله)[1].

ومن الاهتمام بالطفل شراء ما به يسرُّه، قال ﷺ: (من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله؛ كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإنه من فرّح أنثى فكأنما عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله)، وعلى الوالدين تلبية حاجات الولد المادية والمعنوية فيما هو مباح بقدر الإمكان، إلا إذا كانت رغبة الولد فى ما يضره أو يضر غيره، فيُمنع عنه ما رغب فيه بأسلوب تربوى حكيم.

قال ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع على أهله وهو مسئول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهى مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول)[2] والراعى هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما

(١) سنن البيهقى الكبرى ٢/٢٦٣ ح٣٢٣٦.

(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ح٥١٨٨.

قام عليه ، وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه فى دينه ودنياه ومتعلقاته، ومن هنا نفهم أن المسئولية ليست فقط فى الإنفاق ولكن فى غرس القيم والمباديء الإسلامية.

رابعًا: الرفق واللين

مما لا شك فيه أن تعليم وتربية الأطفال ليس بالأمر الهين، فهو يحتاج إلى رفق ولين وحكمة وروية حتى لا يمل الطفل من توجيهات والديه، وليس معنى هذا أن يُترك له الحبل على الغارب، ولكن المقصود ألا يكثر من التعنيف على الأخطاء، وألا يكون التعنيف قاسيًا، بل قد تكفيه كلمة، قال رسول الله ﷺ: (رحم الله والدًا أعان ولده على بره)[1].

وقال ﷺ: (رحم اللهُ مَن أعان ولدَه على برّه؛ يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به...).

وقال ﷺ: (رحم اللهُ مَن أعان ولدَه على برّه، وهو أن يعفو عن سيئته، ويدعو له فيما بينه وبين الله).

(١) مصنف ابن أبى شيبة ٨/٣٩٣ ح٢٥٨٠٣، وكنز العمال للمتقى الهندى ١٦/٤٥٧ ح٤٥٤١٧، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٣/٢٢٧ ح١٢٧٣٠.

وقال ﷺ: (رحم الله عبدًا أعان ولده على برّه بالإحسان إليه، والتآلف له، وتعليمه وتأديبه).

خامسًا: مراعاة حقوق الطفل المعنوية

وهو أن ينشأ فى بيئة يستشعر فيها بدفء العلاقة بين الأب والأم، وهو ما يغيب عادة فى المعاملات اليومية إذا ما توترت العلاقة الزوجية، ويلاحظه الأطفال على الفور وبحساسية بالغة تفوق التوقع.

ويراعى ألا يرى الطفل أبويه فى غرفة النوم فى حالة العلاقة الزوجية، ولكن من الأفضل أن يرى الطفل أبويه فى حب وانسجام متبادل حتى يتربى الطفل على الحنان، مما يؤهله أن يكون زوجًا وأبًا حنونًا على أهله فى المستقبل حتى يتكون مجتمع إسلامى صالح.

سادسًا: العدل بين الأولاد

العدل بين الأولاد واجب، قال ﷺ: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[1]، وقد أمرنا سيدنا رسول الله ﷺ أن نعدل بين أبنائنا، لأن عدم العدل يولد الضغينة بين الأولاد ويوقعهم فى المعصية، ولذلك نرى كثيرًا من الخلافات فى المحاكم تكون بين إخوة وأهل، جاء بشير إلى النبى ﷺ ليشهده على هبة وهبها لابنه النعمان،

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الهبة، باب الإشهاد فى الهبة ح٢٥٨٧.

فقال له ﷺ: (يا بشير؛ ألك ولد سوى هذا؟) قال: نعم، فقال: (أكلّهم وهبتَ له مثل هذا؟) قال: لا، فقال: (لا أشهدُ على جور)[1]، وقال الرسول ﷺ: (ساووا بين أبنائكم فى القبُل).

ومراعاة حاجات الأولاد لا تتنافى مع العدل، فقد يحتاج أحدهم ما لا يحتاجه آخر، فإن تساووْا فى الحاجة والحال ساوى بينهم فى العطية.

سابعًا: غرس الثقة بالنفس فى الطفل:

من أهم العوامل فى بداية تكوين شخصية الطفل هى أن تنمى فيه الثقة بنفسه عن طريق تحفيزه بكلمة تشجيع أو إظهار السرور والإعجاب له.

ومن الممكن أن يجلب الوالد هدية لطفله كمكافأة له على عمل حسن عمله وذلك إن كان فى مقدور الوالدين.

ومن الأساليب التى توصل للثقة بالنفس أن يعطى الأبوين لأطفالهم المسئولية فى اختيار ما يحبونه من الأمور الخاصة به، مثل: اختيار نوع الملابس، وألوانها، والألعاب، وما شابه مع توجيه من الأبوين لهم.

ومن الممكن تعليم الطفل الادخار حتى يتعلم كيفية الاعتماد على النفس فى المستقبل فى حالة شراء ما

---

(١) صحيح مسلم ٨/٣٧١ ح٣٠٥٦.

يريده.

ويمكن إسناد بعض الأمور إليه بما يتواكب مع سنه، ويشعره أنه مسئول عنها مع متابعة الأبوين له وتوجيهه.

الفصل السابع
مرحلة الطفولة

تقوى الآباء تصل إلى الأبناء:

إن تربية الأولاد وصلاحهم تتعلق فى حقيقة الأمر بصلاح الآباء، فصلاح الآباء يصل إلى الأبناء، قال تعالى عن الغلامين اللذين بنى لهما موسى والخضر الجدار: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢)، فإذا حفظ الرجل لسانه من يمين الفسق، وبطنه من الحرام، والمرأة إذا حفظت فرجها رزقهما الله بأولاد بررة يكونون لهما كعينيهما ويديهما ورجليهما، فالولد العاق إما أن يكون من حرام عملاً أو غذاء أو قولاً، لأن الولد زهرة الشجرة التى هى الوالد والوالدة. والوالد والوالدة هما مظهر الشفقة والرحمة والحنان والبر والإمداد والإيجاد الإلهي، ولذلك فقد أوجب الله الشكر لهما، وجعل رسول الله ﷺ الجنة تحت أقدام الأمهات وجعل الوالد على باب الجنة، وقد يحفظ الله تعالى الولد حتى لو تربى فى حجر عاص كما فعل الله تعالى مع سيدنا موسى فقد احتضنه فرعون من طفولته، وقد يخرج الله فاسدًا من صالح كولد سيدنا نوح الذى عصاه وكان عملاً غير صالح، ومع كل ذلك إلا أنه يجب على الوالدين أن يقوما بما ينشئ الطفل سويًا عملاً

بالأسباب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم)[١]. وهذا مع طلب التوفيق من مسبب الأسباب سبحانه وتعالى كما قال سيدنا زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨).

ومما لاشك فيه أن الأسرة المفككة عامل رئيس فى انحراف الأحداث، وهذا التفكك الأسرى بدايته الصراع المستمر بين الوالدين، هذا الصراع يجعل الطفل يعيش فى جو من القلق وانعدام الأمن.

سن ما قبل المدرسة

إن هذه الفترة تعتبر بداية تشكيل شخصية الطفل وضبط انفعالاته، فأى فعل ينشأ من الطفل قد يكون من غريزة فطرية لديه أو طبع مكتسب ممن حوله، وتعد الأسرة المحضن الأساس الذى يبدأ فيه تشكيل الفرد وتكوين اتجاهاته وسلوكه بشكل عام، فالأسرة تعد أهم مؤسسة اجتماعية تؤثر فى شخصية الإنسان، وذلك لأنها تستقبل الوليد أولاً، ثم تحافظ عليه خلال أهم فترة من فترات حياته وهى فترة الطفولة، وهى الفترة الحرجة فى بناء شخصية الإنسان، وذلك لأنها فترة بناء وتأسيس،

---

(١) سنن ابن ماجه ٢٧٥/٥ ح٣٦٧١.

وإلى هذا أشار سيدنا رسول الله ﷺ فقال: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[١].

ومن أهم الأخطاء التى تفسد الأبناء؛ القسوة فى العقاب، والتراخى والإسراف فى التدليل، والتذبذب فى معاملة الأطفال، كأن نمدح الطفل على شيء اليوم ونعاقبه عليه غدًا، وكذلك التلهف والقلق المفرط على الأطفال، كل ذلك يسهم فى إيجاد شخصية قلقة منطوية غير اجتماعية، بل سقيمة لعدم ترك الطفل على الطبيعة يؤثر ويتأثر، ويكتسب المناعة الطبيعية ضد الأمراض الجسمية، الاجتماعية، والنفسية.

ومن الطباع التى تبدو على الأطفال فى ذلك السن الصغير ما يلى:

١- الخجل:

إن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال، ولعل أماراته تبدأ فى سن الأربعة أشهر، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحًا فى الطفل، إذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطى وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب إليه، وفى

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه؟ ح١٣٥٨، وصحيح مسلم ١٢٧/١٣ ح٤٨٠٣.

السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب إلى دار غريبة، فقد يجلس هادئًا فى حجر أمه، أو إلى جانبها طوال الوقت.

وقد ينشأ الخجل من مشاعر النقص نتيجة نواقص جسمية أو عاهات بارزة، أو ضعف النظر وصعوبة السمع أو الثأثأة واللجلجة فى الكلام، أو التدليل الشديد، أو معاملته بقسوة.

فيجب على الوالدين معالجة الخجل فى الابن بأن يشعراه بحبهما وقبولهما له وتهيئة الجو الآمن والطمأنينة، وعدم تكليفه بأمور يعجز عن القيام بها فيزداد خجله، ويجب تدريبه على الأخذ والعطاء حتى يثق بنفسه ويزول خجله، ومراعاة عدم التدليل الشديد للابن حتى لا ينشأ منطويًا على نفسه.

ولكن علينا أن نميز بين الحياء والخجل. **فالخجل**: هو انكماش الولد وانطواؤه عن ملاقاة الآخرين. **أما الحياء**: فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الإسلام وهو المرغوب كما قال ﷺ: (الحياء من الإيمان)[1]، وقال:

(١) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان ح٢٤، وصحيح مسلم ١/١٤١ ح٥٢.

(الحَياءُ لاَ يَأْتِى إِلاَّ بِخَيْرٍ)[1].

٣- العدوانية:

من الأطفال من تتولد عنده قوة عدوانية فى ذلك السن المتقدم لإثبات الذات والسيطرة، وقد تكون نتيجة الغيرة من أقرانه أو الشعور بالنقص أو نتيجة ما يشاهده فى التليفزيون من أفلام العنف، ويظهر ذلك فى اعتدائه على من هو أصغر منه سنًا، وقد يصل الأمر إلى محاولته أن يضرب من يكبره سنًا فيجب الحذر من هذا، مع محاولة تبديل هذه الصفة العدوانية بأسلوب يليق بسِنِهِ بأن تجعله يقبِّل من يعتدى عليه أو يحنو عليه ويرعاه، مع مراقبته فى كل ذلك حتى تزول عنه تلك الصفة، ويجب مراقبة ما يشاهده فى التليفزيون ومنعه من كل ما ينمى عنده العدوانية.

ويجب العلم بأن هذه الصفة قد ينميها الوالدان عند الطفل بأن يقولا للطفل: اضرب فلانًا أو سِبّ فلانًا وهذا خطأ ومناف للأخلاق الإسلامية.

وقد تكون هذه القوة العدوانية ناتجة عن مرض نفسى يولد به الطفل، وهذا بلا شك يحتاج إلى عرضه على

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب الحياء ح٦١١٧، وصحيح مسلم ١/١٤٢ ح٥٣.

الطبيب النفسى.

ويجب مراعاة الحالة الصحية للطفل فقد يكون الدافع إلى التشاجر راجع لاختلال فى إفرازات الغدة الدرقية، أو لزيادة الطاقة الجسمية، أو سوء التغذية.

٣- عيوب النطق:

إن من العادات الخاطئة التى يقوم بها أفراد الأسرة نحو طفلهم أن يخاطبوه بكلمات وحروف غير صحيحة بهدف تدليله ومداعبته، وهذا إن زاد عن حده فإنه يحدث خللاً فى النطق عند الأطفال، فعلى الوالدين مراعاة النطق السليم مع طفلهما وهذا لا يحول دون مداعبتهما له، يجب تمرين الطفل على النطق السليم فى الحروف التى نطقونها خطأ مثل نطق الشين سيناً، واللام ياءً، والراء لمًا أو ياءً، حتى لا يكبر سنه وتلك الأخطاء باقية فى سانه فيعاب بين أصدقائه، مما قد يؤدى إلى الشعور لخجل أو الانطوائية أو حالة نفسية سيئة.

- الكذب:

الطفل فى هذا السن الصغير لا يعرف صدقًا ولا كذبًا، و إن أخبر عن شىء فإما أن يكون هذا الشىء حقيقى د يكون غير حقيقى، وقد يتعمد أو يجبر على ذكر ىء على غير حقيقته، فالكذب عند الأطفال له أنواع، ها:

- **الكذب الخيالى:** وهو نوع من التسلية واللعب، وقد ينشأ عن الأفكار والأحلام التى تدور فى ذهن الطفل، أو القصص التى تروى عليه فتلتبس عليه الحقيقة بالخيال، فالطفل يمتلك فى ذلك السن خيالاً واسعًا.
- **الكذب الادعائى:** وهو ينشأ نتيجة شعور الطفل بالنقص، فيحاول أن يبالغ فى حديثه لإكمال ذلك النقص، أو يكون بغرض الاستحواذ على الأشياء التى يرغب فيها كالألعاب أو الحلوى أو ما إلى ذلك.
- **الكذب للانتقام والكراهية:** وهو ينشأ نتيجة الغيرة من الآخرين أو حب الذات أو الكراهية أو غير ذلك، ويتمثل فى إلقاء اللوم على الآخرين وشكواهم لمن يكبرونهم سنا بأمور غير حقيقية، وهو من أكثر أنواع الكذب خطرًا على الصحة النفسية.
- **الكذب بسبب الخوف من العقاب:** ويتمثل فى الخوف الشديد من عقاب الوالدين، مما يضطره للكذب حتى ينجو من العقاب، وهذا ينشأ فى الأسرة التى يسود فيها القسوة والنظام الصارم والعقوبة الشديدة.
- **الكذب تقليدًا للوالدين:** فقد يلجأ الآباء إلى الكذب فى بعض الأمور، فيقوم الابن بتقليدهم فى نفس السلوك.
- **الكذب المزمن:** وهو حالة مرضية حيث يكذب الطفل لا شعوريًّا، ويكون الطفل عادة غير ناجح فى حياته.

ومن هنا يجب على الوالدين مراقبة سلوكيات طفلهم، وتوضيح كلاً من الخيال والواقع له، حتى يستطيع أن يفرق بينهما، وإشباع رغبات الطفل بقدر المستطاع حتى لا ينظر إلى ما فى يد غيره وتدريبه على ذلك، ويجب معالجة حدة الغيرة والكراهية واستبدالهما بالحب والأخوة وغرسهما فى الطفل مع عدم سماع شكوى الطفل من الآخرين إلا بقدر الضرورة فقط حتى لا يتمادى، وعدم معاقبة أحد بناءً على كلام الطفل - خاصة أمام الطفل نفسه - حتى لا تكون الشكوى أقرب وسيلة له لنيل مراده، ويجب عدم معاملة الابن بقسوة تخيفه من والديه، ولكن معاملته بما يولد عنده الحب والهيبة معًا لوالديه، ويجب أن يتحرى الوالدان الصدق فى كل أمورهما خاصة أمام ابنهما، ويجب معالجة الكذب المزمن بشتى الوسائل، لأن الكذب يهدم شخصية الإنسان، بالإضافة إلى أنه يكتب عند الله كذابًا، ويكون ساقط العدالة بين الناس، ويجب على الوالدين أن يحدثا الطفل عن الصدق وأهميته والكذب وعواقبه؛ حتى يحب الصدق والصادقين ويبغض الكذب والكذابين، ولا جدوى من علاج الكذب بالعقاب والتهديد والتشهير والسخرية، ويجب التقليل قدر الإمكان من النصح والوعظ كأسلوب علاجي، ولكن يكون ذلك عمليًّا لأن العملى له تأثير أكبر من الكلام النظرى عند الأطفال بل والكبار أيضًا.

٥- الغضب والعناد:

إن الغضب والعناد عند الأطفال فى الطفولة الأولى قد يعتبر سلوكًا عاديًّا، ولكن عندما تلازم هذه الأعراض الطفل لسن متقدمة وبصورة عنيفة، فإنها تكون أعراضًا لسوء تكيفه، فنجد من الأطفال من يلجئون فى حالة الغضب إلى البكاء والعصيان وضرب الأرض وجذب الانتباه إليهم، وقد يظهر الطفل غضبه باعتزاله المجلس، أو يلقى بنفسه على الأرض، أو يكون الغضب فى شكل احتجاجات لفظية، وتهديد، وقذف، وأخذ بالثأر، وقد يظهرون غضبهم بالعناد والهياج والملل والاكتئاب، ويلاحظ أن تدليل الأبوين للطفل كثيرًا ما يؤدى به إلى نوبات الغضب المرضية، لذلك فالطفل يجب أن يعامل بحب ودفء عاطفى مع سلطة ضابطة مرنة تجعله ينشأ على درجة معقولة من الثقة بالنفس.

وهناك ما ينمى القوة الغضبية عند الطفل بأن يلبى الوالدان مطالبه باستمرار حينما يغضب، أو يحتضنه أحدهما حينما يغضبه الآخر مع عدم تعريف الطفل بخطئه، ولكن إذا غضب الطفل بأية وسيلة من الوسائل السابقة فيجب مقاومة هذا الغضب: إما بتركه على حاله بدون أن ينتبه إليه أحد حتى لا يجد الطفل بُدًّا من أن يتنازل عن حالة الغضب، أو أن يقاوم الغضب بأن يأخذه

أحد الأبوين ويهدئه أولاً ثم يبين له خطأه ويقنعه بذلك، مع عدم تلبية رغبته أيضًا حتى يعلم الطفل أن كلمة والديه نافذة فلا يلجأ إلى الغضب مرة أخرى، وقد تكون الوسيلة إلى إنهاء حالة الغضب هى الضرب، ولكن لابد أن يراعى المؤدب أن يكون الضرب غير مبرح ولا يكون قاسيًا حتى لا يخاف الطفل بشكل مفزع، مع مراعاة اختيار العلاج المناسب لشخصية الطفل، ويجب تعويد الطفل على أن يظهر اعتراضه بأسلوب حوارى وليس بالغضب والبكاء والتشنج والعناد.

٦- اللهو والمرح:

إن اللهو والمرح هما عالم الطفل الأصيل وهذا ينمى الذكاء عند الطفل ويعطيه ثقة بنفسه بل له فائدة عظيمة على صحة الطفل، فلا ترهقه بما يعاكس نموه الطبيعي والجسمي، ولا تحرمه من حاجات الطفولة الأساسية، إلا إذا زادت عن حدها وصار وقته كله يقضيه فى اللعب فيجب تقنين ذلك اللعب بأسلوب حكيم بحيث تشبع رغبته من اللعب مع قيامه بمتطلبات حياته، مع العلم بأن كثرة النقد تؤدى إلى الجمود والسلبية، بل والإحساس بالإثم.

ويضرب لنا المثل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذى كان يهابه عظماء الرجال، فقد دخل عليه أحد عماله وولاته فوجد عمر مستلقيًا على ظهره وصبيانه يلعبون

حوله، فأنكر عليه سكوته على لعب الأطفال من حوله، فسأله عمر: كيف أنت مع أهلك؟ فأجاب: إذا دخلت سكت الناطق، قال عمر: اعتزل عملنا، فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ؟.

والطفل يحاول أن يتحسس كل ما تصل إليه يده فربما دفعه هذا إلى تخريب ألعابه، أو اللعب فيما قد يضره مثل الكهرباء وقد يتطلع أن يمسك النار مثلاً، وكثيرًا ما يعاقب الآباء والمربون أطفالهم على عبثهم أو تخريبهم لما حولهم، وهذا قد يدفع الطفل للكذب لحماية نفسه من العقاب أو الخوف من لمس أى شيء، وهذا يكسبه الخمول والبلادة وعدم التفكير وعدم محاولة تذليل الصعاب، لذا يجب على الوالدين إعطاء طفلهم فرصًا للتعرف على ما حوله تحت إشرافهم، وعدم تعنيفهم على إتلاف شيء، فأن تكتسب عقلاً واعيًا مفكرًا مبتكرًا أفضل من الحَجْر على تفكير ابنك فى سبيل المحافظة على لعبة، ولكن يجب أن تتابع تصرفاته باستمرار حتى لا يضر نفسه أثناء ابتكاراته أو تجاربه.

٧- الخوف:

الخوف من أهم السمات التى قد تتولد عند الطفل، فنجده يخاف من الظلام أو الأصوات العالية المزعجة، أو يكون الخوف ناشئًا من خياله، كأن يتخيل أن هناك وحشًا

مخيفًا بجواره، أو أن يخاف من الحيوانات وغير ذلك، ويقع بعض الآباء والأمهات فى خطأ كبير فى هذا الشان بأنهم يهددوا أبناءهم بكائنات خيالية ويخيفوهم بها مثل العفاريت، وهذا يعود بالضرر على خيال الطفل، بل ينمى عنده الخوف، وهذا يجعله قد يرى هذه الأشياء فى نومه، أو يستيقظ من نومه فزعًا فيتخيلها فى حجرته أو تحت سريره أو فى الظلام، فيجب عدم الاستهتار من خوف الطفل، فما يشعر به الطفل هو خوف حقيقي، ويجب على الأهل طمأنة الطفل بعناقه وتهدئته عند خوفه، وتدريبه على عدم الخوف من الظلام بأن لا يتركونه فى الظلام وحده بل يكونون معه حتى يأنس بهم، ويمكن أن يكلمه أحدهم أو يلاعبه على هذه الحال حتى يألف الظلام، وأن يضيء الحجرة المظلمة ثم يظلمها حتى تذهب هيبة الظلام من نفسه، ويجب أن يبذل الوالدان قصارى جهدهما فى محو خوف الطفل من الحيوانات، فينبهانه بأسلوب علمي ومنطقى أن يحذر منها بطريقة خالية من الترهيب والتهويل والتخويف، فإنه إن تجرأ على الحيوانات ربما وصلت جرأته إلى محاولة الإمساك بحيوان قد يضره، ويجب عدم تخويفه بالخيالات من كائنات ليس لها وجود حسى.

وقد ينشأ خوف الطفل من قسوة الوالدين بعقاب لا يتحمله طفلهما فى هذه السن مما يجعله مقهورًا خائفًا

فزعًا قلقًا فتكون شخصيته مهزوزة، والعجيب أننا نجد أن أى ديكتاتور كانت طفولته بائسة، وذلك لأن حالة القهر التى كان يعيش فيها دفعته إلى محاولة التغيير، مما جعله ديكتاتورًا ظالمًا قاهرًا عند تمكنه من ذلك، فيجب على الوالدين الحذر من هذا حتى لا يجعلا ابنهما بمثابة قنبلة موقوتة تنفجر فى يوم من الأيام، ولكن إذا كان لابد من العقاب فلابد أن يكون العقاب مناسبًا لعمر الطفل وشخصيته وحالته النفسية.

وعلى الأهل توفير الحب، وترسيخ ثقة الأطفال فى أنفسهم؛ فهى أكثر العوامل المساعدة للتغلب على الخوف.

٨- السرقة:

من الطبيعي أن يأخذ الطفل شيئًا يراه أو يشد انتباهه، وهذا لا يصح أن نصفه بأنه سرقة، فالطفل فى ذلك السن لا يعرف السرقة، وقد يسرق الطفل بسبب الحرمان فقد يسرق لعبة غيره أو يسرق النقود لشراء شيء، وقد يفعل هذا تقليدًا لغيره، وقد يكون سبب سرقته مرض نفسى، فيجب أن يبدى الوالدان اهتمامًا لابنهم ليشعر بالدفء والطمأنينة من جانبهما، ويجب إشباع رغباته بقدر الإمكان فيما هو ضرورى له من مأكل وملبس مناسب لسنه، والأهم من ذلك هو أن يكون الأهل قدوة حسنة لأبنائهم فإن أبناءهم يقلدونهم فى الصغيرة والكبيرة.

وعند اكتشاف سرقة الطفل يجب عدم الإلحـاح عليـه للاعتراف بأنه سرق، فهذا ربما دفعه للكذب والتمادى فى السرقة، ويجب أن تعرف الطفل حق الملكية وتعوده على احترام ملكية الآخرين، وأن السـرقة سـلوك خـاطئ بأسلوب يلائم سنه، ومسـاعدته علـى رد المسروقات لأصحابها وتجنب وصفه بالسارق واللص حتى لا يضطر أن يأخذ السرقة سلوكًا له، ويجب عدم تذكيره بما قام بـه من سرقة حتى تساعده على بدء صفحة جديدة.

ويمكن أن تقيه من داء السرقة بأن تعلمـه أن يعطـى مما يملكه للآخرين، كأن تجعله يقتسم ما معه من طعـام مع أخيه أو أقرانه، أو أن تعطى له شيئًا يعطيه للآخـرين كأن تجعله يوزع الحلوى على أفراد الأسرة حتى تعلمـه الكرم والعطاء وتقيه من البخل والسرقة.

٩- التطلع للمعرفة:

من القوى التى تتولد فى الطفل الشوق إلى المعـارف، فهو يميل إلى التطلع إلى معرفة ما يحيط به، فنجد الطفل فى بدايته يبدى اهتمامًا بالصور ويشير إليها، وبتقدمه فى العمر يحب أن يستمع إلى شرح الصور ويـستمع إلـى القصص ثم يحاول أن يحكيها، وحكاية القصص للأطفال لها أثر عظيم فى غرس القيم والمبادئ الحسنة وتنمية المعارف وتفسير مبهمات كثيرة لدى الطفل، بالإضافة إلى

ما فيها من متعة وتسلية وراحة نفسية له، فيجـب علـى الوالدين ألا يهملا هذا الجانب بل يجب استغلاله فى تثقيف طفلهما بحكاية قـصص الأنبيـاء والـصالحين وحكايـة بطولات عظيمة، بل تعريف الطفل بما يحـيط بـه مـن حيوانات وطيور وغير ذلك فى صورة قصص، وحكايتها له بأسلوب مبسط يألفه ويحبه ويناسب سنه، ويجب عـدم الاستهانة والاستهتار بما يطرحه من أسئلة فيجب الإجابة عليها إجابة صحيحة ومبسطة بما يتناسب مع سنه.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه الجزء الأول،

ويليه الجزء الثانى الذى يبدأ بمرحلة المدرسة.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
الافتتاحية	٥
نشأة الأسرة	٧
التكامل بين المرأة والرجل	٩
حقوق الأبوين	١٢
مسئولية الوالدين فى تربية الأولاد	١٤
الفصل الأول: مرحلة الاختيار	١٧
مرحلة البلوغ	٢١
مرحلة الاختيار	٢٢
الفصل الثانى: مرحلة الزواج	٢٨
جهاز العروسين	٣٤
الزينة ليلة الزفاف	٣٦
موكب الزّفاف	٣٧
الوليمة	٤٠
الدخول بالزوجة	٤٣

آداب الخلوة بين الزوجين	٤٤
صبيحة يوم الزفاف	٤٧
الفصل الثالث: مرحلة الحياة الزوجية	٤٩
أسس الحياة الزوجية	٥٠
حقوق الزواج	٥٢
الفصل الرابع: مرحلة الحمل	٧٠
الاهتمام بالعناصر الغذائية اللازمة	٧٣
مراعاة الحالة النفسية والعاطفية للزوجة	٧٤
المعاشرة الزوجية فى مراحل الحمل	٧٤
الفصل الخامس: مرحلة ميلادُ طفلٍ	٧٨
ما يُجرَى فى اليوم السابع للمولود	٨٢
البنت حسنة للثواب، والولد نعمة للسؤال	٨٧
الرضاع	٨٩
تأخر الإنجاب	٩١
الفصل السادس: مرحلة ما بعد الولادة	٩٥
الفترة بين الولادتين	٩٨
حب الأولاد	١٠٢
التوازن فى محبة الأولاد	١٠٣

مظاهر حب الوالدين للأولاد ١٠٤

الفصل السابع : مرحلة الطفولة ١١١

سن ما قبل المدرسة ١١٢

فهرس الكتاب ١٢٦

جميع حقوق الطبع والنشـــر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

شعبان ١٤٣٢هـ - يوليه ٢٠١١م

عنوان الكتاب	بناء البيت الإسلامى
المـــؤلـــف	السيد أحمد علاء الدين ماضى أبو العزائم
النــاشـــر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفـــون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيـداع	٢٠١١/٨٧٢١م
الترقيم الدولى	٤ - ٨٥ - ٥٢٧٣ - ٩٧٧

إهداء

إلى سبب إيجادى، وسر إمدادى، صاحب الخلق الزكى
صاحب الهمة العالية، والعزيمة الصادقة
والروح الطيبة، والنفس السامية
والدى وقدوتى

السيد علاء أبو العزائم

الذى يتسامح كثيرًا فى حقه، ويمد يده إلى خصومه جمعًا للكلمة
إلى المجاهد بماله ووقته وصحته وعلمه لتوحيد كلمة الأمة
وفضح أعدائها العلمانيين والخوارج من الداخل
وأعدائها الصهاينة والصليبيين من الخارج
إلى من بيَّن مرض الأمة وأسبابه وكيفية علاجه
وسعى جاهدًا فى نشر الدعوة الإسلامية، وتراث الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبى العزائم

فانطلق بدعوته عالميًا، وطبع حوالى ضعفى التراث الذى طبع من قبله
وكان وما زال وجهًا مطلوبًا يتصدر الإعلام المسموع والمقروء والمنظور
وشكره وكرَّمه العلماء والقادة والمنظمات المحلية والعالمية

والدى الحبيب

كفاك أنك أول من احتفل بمولد مصدر الجود والتحف والدة النبى ﷺ
وأول من احتفل بالحبيبة المحبوبة أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام

وأول من احتفل بالخمسة أصحاب حديث الكساء فى مصر

وأول من قدَّم جائزة عالمية باسم الإمام أبى العزائم،

ولأول مرة على مسارح الجمهورية

وأول من عقد المؤتمرات والندوات للنهوض بالطرق الصوفية

وأول من اختار (رجل العام) باسم مجلة الإسلام وطن

وأول من قام بتدريس سيرة النبى ﷺ فى الليالى المحمدية

وأول من قام بتدريس سيرة مسلسلة لأهل البيت

فى ليالى أهل البيت، وهو حدث لم يسبقك به أحد فى الأمة

والدى الغالى

إن عناية الله ترعاك.. ومدد آبائك وأجدادك مجموع فيك

فامض على نهجك للعلياء.. وقلوبنا التى أحبتك،

وأبداننا التى أطاعتك تؤيدك وتنصرك

أسأل الحق تبارك وتعالى أن يمد لنا فى عمرك، ويمتعك بالصحة والعافية، ويجمع عليك أهل الصفا والوفا، ويجدد بك معالم الطريق، بالكتاب والسنة والتحقيق، وأن يعلى كلمتك، ويحفظك ويحفظ دعوتك.

إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

أحمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

الفصل الثامن
مرحلة المدرسة

إن شخصية الطفل تتكون عمومًا من حلقات متتابعة من المعارف والخبرات، فإذا أهملت حلقة من هذه الحلقات؛ نتجت شخصية غير سوية أو قليلة الخبرات.

وتأتى المدرسة – كمؤسسة اجتماعية – فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية فى تنشئة الطفل، فدور المعلم لا يقل أهمية عن دور الوالدين، ولذلك قال عمرو بن عُتبة لمعلِّم ولده: (ليكُن أولَ إصلاحك لولدى إصلاحُك لنفسك، فإنّ عُيونَهم معْقودةٌ بعَيْنك، فالحَسَن عندهم ما صَنعتَ، والقبيح عندهم ما تَركتَ، عَلِّمْهم كتابَ الله ولا تُكْرههم عليه فيَملّوه، ولا تَتركهم منه فيهجروه؛ رَوِّهم من الحديث أشرفَه، ومن الشعر أعفَّه، ولا تَنْقُلهم من علمٍ إلى علم حتى يُحْكموه، فإنّ ازدحام الكلام فى القَلْب مَشغلة للفهم، وعلِّمهم سُنَن الحكماء، وجَنِّبهم محادثة النِّساء، ولا تَتّكل على عُذْر منّى لك، فقد اتكلتُ على كِفاية منك).

كما أن المدرسة ليست لبثِّ العلم المادى فحسب، بل هى نسيج من العلاقات التى من خلالها تتوسع الدائرة

الاجتماعية للطفل، كما يتعلم من خلالها الحقوق والواجبات وضبط الانفعالات والتعاون والانضباط السلوكي.

الاختلاط ومراقبة الأبناء

تعتبر المدرسة أول بداية اختلاط الأبناء بغيرهم، فيجب على الآباء مراقبة الأبناء فى اختلاطهم مع الآخرين ومراقبة سلوكياتهم، ومساعدتهم فى اختيار أهل الخير لكى يكتسبوا منهم الأخلاق الكريمة، والبعد عن أهل الشر بعدًا عن الأخلاق الرذيلة.

فعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَثَلُ الجليسِ الصالحِ وجليس السوء كحاملِ المسك ونافخِ الكير، فحاملُ المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحًا خبيثة)[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[2].

(١) صحيح البخارى، كتاب الذبائح، باب المسك ح٥٥٣٤، وصحيح مسلم ٧٣/١٣ ح٤٧٦٢.

(٢) سنن أبى داود ٤٠٧/٤ ح٤٨٣٥، وسنن الترمذى ٥٨٩/٤ ح٢٣٧٨.

والخليل: هو الصديق أو الرفيق.

وقد أوصى الإمام علىّ زين العابدين ولده فقال: (إياك ومصاحبة الكذاب؛ فإنه بمنزلة السراب، يقرب لك البعيد، ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق؛ فإنه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومصاحبة البخيل؛ فإنه يخذلك فى ماله أحوج ما تحتاج إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه؛ فإنى وجدتُه ملعونًا فى كتاب الله عز وجل).

فعلى الآباء توجيه الأبناء حتى تتصلح أحوالهم وتسمو أخلاقهم، فيظهر فى المجتمع خُلُقهم الصالح؛ حتى يتحقق صلاح المجتمع بصلاحهم.

وعلى الآباء مراقبة أبنائهم فيما يشاهدونه فى التليفزيون أو السينما أو على شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت)، مما قد يكون له أثرٌ سيئٌ على سلوكياتهم، ويرجع هذا الدور الرقابى فى الأساس إلى الأم، لأن الأب غالبًا ما يكون مشغولاً بعمله لجلب ما به يعول أهله – وإن كان ذلك لا يعفيه من المسئولية – لكننا نركز على أهمية دور الزوجة أو الأم فى مراقبة الأبناء باعتبارها ملازمة لهم، وهى الأكثر معرفة بسلوكهم.

ومن المؤسف أن نجد الكثير من الأمهات قد قصَّرْنَ في واجب تربية أولادهن، وانشَغَلْنَ بالعمل خارج بيت الزوجية، ومنهن من أوكلت أمر تربية أولادها إلى مربيات غير أمينات، مع أن رعاية المرأة لبيتها وزوجها وولدها هو من أهم الوظائف التى شرَّفَهَا بها رسولُ الله ﷺ وكلَّفَهَا بها فى قوله: (والمرأةُ راعيةٌ على بيت زوجِها وولدِه، فكلُكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه)(١)، كما أوصى عليها الأبناء خير وصاية، فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ يسأله: من أحق بحسن صحابتى؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (أبوك)(٢).

كما أوصى رسول الله ﷺ الرجال والنساء معًا بقوله: (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم)(٣)، وقوله ﷺ:

(١) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب المرأة راعية فى بيت زوجها ح٥٢٠٠.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من أحق بحسن الصحبة ح٥٩٧١، وصحيح مسلم ٣٨٨/١٢ ح٤٦٢١.

(٣) سنن ابن ماجه ٢٧٥/٥ ح٣٦٧١.

(علموا أولادكم وأهليكم الخيرَ وأدِّبُوهُم)(١).

الرفق فى المعاملة

القسوة والضرب والتوبيخ المستمر للأولاد والتحقير لهم والسخرية منهم أو التقليل من شأنهم؛ كل هذا قد يؤدى بهم إلى سلوك غير سويّ، وقد يكتنفهم شعور بالتعرض للظلم والاضطهاد، وقد تتملَّكهم الضغينة والعداء لآبائهم، أو التمرد عليهم، وقد يلجأون إلى الكذب للهروب من الانتقادات المستمرة التى يتعرضون لها، ومن الممكن أن يسبب العنف فى معاملة الأولاد إصابتهم بالجبن وضعف الشخصية، وبأمراض نفسية، إلى غير ذلك مما لا يحصى خطره، لذلك قال ﷺ: (إذا أراد اللهُ بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق، فإن الرفق لم يكن فى شىء قط إلا زانه، وإن الخرق لم يكن فى شيء قط إلا شانه)(٢).

وبالالتزام بمنهج التربية الإسلامية الصحيحة؛ مع الحب وحسن التوجيه ومراعاة الحكمة والاعتدال؛ تتحقق أفضل وسائل التربية، فعلى الوالدين أن يتوخيا ذلك قدر

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٥٣٩/٢ ح٤٦٧٦.

(٢) شعب الإيمان للبيهقى ١٣٨/٦ ح٧٧٢٢.

الاستطاعة، وبالله التوفيق:

من صور التربية

يقول الإمام أبو العزائم: إذا كانت الأمة قد نالت قسطاً وافراً من الآداب الإسلامية، يكون لكل تلميذ مدرستان، مدرسة يتلقى فيها العلوم على يد معلم يعلمه ما ينفعه فى دينه ووطنه - وإن قصرت به نفسه على بلوغ الكمالات الأخلاقية - ومدرسة منزلية يتلقى فيها الأخلاق والفضائل الإسلامية، والعوائد الحسنة القويمة، من أساتذة حصروا آمالهم فى مستقبل هذا التلميذ، هم: والده ووالدته وعمه وجده وخاله وإخوته الكبار عنه، وأساتذة يحبون أن ينالوا الخير على يده، هم جيرانه وأقاربه[١].

وتتنوع هذه التربية كما يلى:

١- التربية الدينية

- تعليمهم أركان الإسلام:

تأتى الصلاة فى مقدمة العبادات التى يتم تعليمها للأبناء كما قال ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

(١) الإسلام نسب ص١١٠.

سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقُوا بينهم فى المضاجع)[١] ثم يتم تعويدهم على الصيام وتعليمهم الزكاة والحج بأسلوب مناسب.

- تعليمهم الحلال والحرام:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصى الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار)[٢].

- تعليمهم السيرة والقصص وما تيسر من القرآن:

يجب العناية بتعليمهم سيرة سيدنا رسول الله ﷺ وقصص أهل الفضائل والأبرار، والتمسك بحفظ القرآن أو قراءته على الأقل، قال ﷺ: (أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع

(١) سنن أبى داود ١/١٨٥ ح٤٩٥.

(٢) تفسير الطبرى ٢٣/٤٩١.

أنبيائه وأصفيائه)[1]، ويقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: كنا نعلم أولادنا مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم.

- تعليمهم آداب الاستئذان:

يجب على الآباء تعليم أبنائهم - قبل أن يبلغوا الحلم - آداب الاستئذان فى الدخول على الوالدين حجرتهما كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ٥٨).

وكذلك بعد أن يبلغوا الحلم: كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور: ٥٩).

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٤٥٦/١٦ ح٤٥٤٠٩، وجامع الأحاديث للسيوطى ٨٩/٢ ح٩٦١.

وكذلك آداب دخول البيوت على أهلها كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢٧ - ٢٨).

- التفريق بينهم فى المضاجع:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقُوا بينهم فى المضاجع)[1].

قال المناوى فى فتح القدير: أى: فرقوا بين أولادكم فى مضاجعهم التى ينامون فيها إذا بلغوا عَشْرًا حذرًا من غوائل الشهوة.

- تعليمهم مراقبة الله تعالى:

يجب الاهتمام بتعليم الأولاد أن الله رقيب عليهم فى كل تصرفاتهم، سواء فى العمل أو التفكير، قال سهل بن

(١) سنن أبى داود ١٨٥/١ ح٤٩٥.

عبد الله التسترى: (كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالى – محمد بن سوار –، فقال لى يومًا: ألا تذكر الله الذى خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك فى فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معى، الله ناظر إلىّ، الله شاهدى، فقلت ذلك ليال، ثم أعلمتُه، فقال: قل فى كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلكً، ثم أعلمتُه، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته، فوقع فى قلبى حلاوته، فلما كان بعد سنة، قال لى خالى: احفظ ما علمتُك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك فى الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة فى سرِّى، ثم قال لى خالى يومًا: يا سهل من كان الله معه، وناظرًا إليه، وشاهده؛ أيعصيه؟ إياك والمعصية..).

- تعليمهم محاسن الأخلاق وفضائلها:

قال ﷺ: (إنما بعثتُ لأتممَ مكارمَ الأخلاق)[1]، فعلى الآباء تربية أبنائهم على الصدق والأمانة والمحبة

(١) سنن البيهقى الكبرى ١٠/١٩١ ح٢١٣٠١، وكنز العمال للمتقى الهندى ١٦/٣ ح٥٢١٧.

والإحسان والكرم واحترام الكبير ورحمة الصغير، والتحذير من النطق بقبيح الألفاظ التى يسمعونها من آخرين، وبيان مضار الكذب والنفاق والخيانة والكبر والغدر والزنا والسرقة والغش وغير ذلك من القبائح الأخلاقية، والنهى عنها، حتى يتحلى الأولاد بالأخلاق الفاضلة.

وقد حثنا رسول الله ﷺ على التخلق بمحاسن الأخلاق وفضائلها وحذرنا من مساوئها؛ كما فى قوله ﷺ: (عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إِلَى البِرِّ، وإن البِرّ يهدى إِلَى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا)[1] وقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2]، وقوله ﷺ: (أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه

(١) صحيح مسلم ١٦/١٣ ح٤٧٢١.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح١٣، وصحيح مسلم ١٥٨/١ ح٦٤.

خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)(١).

٢- التربية الجسدية والعقلية

- الاعتدال فى المأكل والمشرب:

قال ﷺ: (ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثُلث لطعامه، وثُلث لشربه، وثُلث لنفَسِه)(٢).

- الاهتمام بالرياضة البدنية وتعليم المهارات النافعة:

قال ﷺ: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ فلا تقل: لو أنى فعلتُ كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللهُ وما شاء فعل،

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ح٣٤، وصحيح مسلم ١٩٠/١ ح٨٨.

(٢) مسند أحمد ٤٢٢/٢٨ ح١٧١٨٦.

فإن لَوْ تفتح عملَ الشيطان)(١) وقال سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: (علموا أولادكم السباحة والرمى والفروسية)(٢).

- ملء الفراغ بما ينفع:

قال ﷺ: (إن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس)(٣) أى: لا يعرف قدرهما الكثير من الناس، وقال ﷺ: (اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)(٤).

فعلى الآباء أن ينتبهوا إلى هذه الجزئية، وأن يسعوا إلى شغل أوقات فراغ أبنائهم بما يفيد، حتى لا يستغل الأولاد أوقات فراغهم فيما يضر بهم أو بغيرهم.

---

(١) صحيح مسلم ١٤٢/٣ ح٤٨١٦.

(٢) كنز العمال للمتقى الهندى ٤٦٧/٤ ح١١٣٨٦، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٩٢/٢٦ ح٢٨٨٧٠.

(٣) مسند أحمد ١٧٧/٤ ح٢٣٤٠.

(٤) المستدرك للحاكم ٣٤١/٤ ح٧٨٤٦.

- مراعاة تثقيفهم:

على الأبوين أن يشجعوا أبناءهم على القراءة وعلى تحصيل العلوم التى تناسب أعمارهم، وتعليم الفتيات ترتيب البيت وإدارة شئونه، وفن طهى الطعام، إلى غير ذلك مما يساعد على تأهيل ذلك النشء الجديد لتحمل مسئولية بيت المستقبل، وبناء أسرة سعيدة تكون لبنة صالحة لبناء مجتمع سَوِىّ.

٣- التربية النفسية

التربية النفسية للأبناء من أهم العوامل فى تكوين الشخصية السوية، فالسلوك النفسى يؤثر على الأبناء فى كل جوانب الحياة، وضبط السلوك النفسى ينمى فى الإنسان كل المعانى التى تجلب الخير كالصراحة والشجاعة وحب الخير للآخرين والبعد عن الانطوائية، وبذلك تستقيم شخصية الرجل أو المرأة المسلمة، وأفضل مثال على الوضوح والصراحة بين الآباء والأبناء ما جاء فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع إحدى ابنتى الرجل الصالح فيما أخبر القرآن عنها: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِى الأَمِينُ﴾ (القصص:

٢٦)، فكان جواب الأب الصالح: ﴿قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَى هَاتَيْنِ ...﴾ (القصص: ٢٧).

٤- التربية الاجتماعية

التربية الاجتماعية تعين أولادنا على التعامل مع الآخرين معاملة حسنة، فعلى الآباء الاهتمام بهذا الجانب التربوي، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- التعامل مع الآباء يكون فى إطار قوله تعالى: ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٤).
- والتعامل مع الكبير والصغير يكون بالتوعية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليسَ مِنَّا مَنْ لمْ يرحَمْ صغيرَنا ويُوقِّرْ كبيرَنَا)[١].
- والحرص على صلة الرحم يكون فى إطار العمل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصل الذى

---

(١) سنن الترمذى ٤/١٧٧، ٢٣٤٠.

إذا قطعت رَحِمُهُ وَصَلَهَا)[1].

– وكيفية التعامل مع الضيف والجيران تكون ببيان قوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُلْ خيرًا أو لِيَصمت)[2].

– والتعامل مع الإخوة والأصدقاء ومع غيره من المسلمين يكون فى إطار قوله ﷺ: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ مسلم من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه)[3].

– ولنوصِ أولادَنا بما أوصى به لقمانُ ابنَه كما ورد

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ ح٥٩٩١.

(٢) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ح٦٠١٨.

(٣) صحيح مسلم ٤٢٦/١٢ ح٤٦٥٠.

فى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَى لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ثُمَّ إِلَى مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَى إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَوَاتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٣ – ١٩).

– ولنُوصِ أولادنا بما أوصانا به سيدُنا رسولُ الله ﷺ بقوله: (أوصانى ربى بتسعٍ أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأُعطى من حرمني، وأصل من قطعني، وأن

يكون صمتى فكرًا، ونُطقى ذكرًا، ونظرى عِبَرًا)[1].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى ٢/٣٦١.

الفصل التاسع
سوء المعاشرة الزوجية

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)،

إن من تمام رحمة الله تعالى ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم مودة ورحمة.

وقد خص الله المودة والرحمة بالذكر لما لهذين اللفظين من معانى سامية تصف العلاقة الزوجية السعيدة، فالمودة هى المحبة، والرحمة هى الرأفة، ومن رحمته إياها ألا يصيبها بسوء، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمته بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه فى الإنفاق أو للألفة بينهما، وقيل: إن المودة هى الجماع، والرحمة هى الولد، إلى غير ذلك من المعاني.

فالمرأة حجة على أن الرجل عَبْدُ الله، والرجل حجة على أن المرأة أَمَةُ الله، لما لكل نوع من الحاجة إلى الآخر، الدالة على الذل والاحتياج، فهى محل أنسه وهو

محل أنسها، وهى سكنه الذى يسكن إليه؛ والذى إذا فقده ساءت العلاقة الزوجية وانعدمت المودة والرحمة بين الزوجين.

ومن أهم الأسباب التى تعكر صفو الحياة الزوجية سوءُ المعاشرة الجنسية، والتى قد ينظر البعض إليها على أنها أمر ثانوى، ولكنها فى الحقيقة شيء أساسى.

فالرجل يحب أن يشبع رغبته، وكذلك المرأة تحب أن تشبع غريزتها، ولذلك أوصى سيدنا رسول الله ﷺ الزوجين بهذا الشأن، فقد روى أبو داود أن النبى ﷺ قال: (إذا دعا الرجلُ امرأتَه إلى فراشِه فأبَتْ فلم تأتِه فباتَ غضبانَ عليها لعنَتْها الملائكةُ حتى تُصبح)[1]، وقال ﷺ: (إذا جامع أحدُكم امرأتَه فلا يتنحى حتى تقضى حاجتَها كما يحبُّ أن يقضى حاجتَه)[2].

وحالة الرجل قد يعتريها الضعف أو البرود الجنسى، وكذلك المرأة قد يعتريها الخوف أو البرود الجنسى، مما يشكل خطرًا على العلاقة الزوجية، وبالتالى على بيت الزوجية.

---

(١) سنن أبى داود ٢/٢١٠ ح٢١٤٣.

(٢) جامع الأحاديث للسيوطى ٣/٣٥ ح١٧٤١.

من أسباب الضعف الجنسى عند الرجال

أولاً: أسباب نفسية:

١ – القلق، والشعور بالنقص، وإعطاء الموضوع أكبر من حجمه الحقيقي، فغالبًا ما يشعر الزوج فى بداية ممارساته الجنسية بصعوبة مهمته التى تحتم عليه أن يظهر لزوجته رجولته وفحولته وقدرته على إشباعها.

٢– إصابة الشخص بالاكتئاب النفسى لأى سبب من الأسباب، والذى يؤدى إلى فقدان الشهية وعدم التركيز والإحساس بالحزن؛ وبالتالى إلى الضعف العام.

٣– الهم والانزعاج، فإن الرجل يكاد يكون صحيح البدن ولكن إذا طرأت عليه بعض الهموم مثل الحاجة إلى المال أو تراكم المشاكل أو غير ذلك؛ قد يفقد الرجل قدرته الجنسية وقتًا ما.

٤– الخوف، فالخوف يولد الهمّ والقلق، ومن شدته يذهب النوم عن العيون، وقد يؤدى إلى الزهد فى شهوات الجسم.

٥- الخلافات بين الزوجين، فالخلاف يذهب شوق كل من الزوجين للآخر، خاصة إذا استمرت هذه الخلافات لمدة طويلة.

فعلى الزوج أن يعالج ما يلم به من قلق واكتئاب وخوف، وأن يعمل جاهدًا ألا ينعكس ذلك على علاقته مع زوجته، فإنها لا ذنب لها فيما يتملكه من حالات نفسية سيئة، كما أن عليهما معًا تفادى أسباب الخلافات الزوجية، ومعالجة أمرها أولاً بأول.

ثانيًا: أسباب عضوية:

وهى تنشأ عن خلل فى المخ أو العمود الفقرى أو الأعصاب أو الفرج نفسه، أو كنتيجة لاختلال توازن الهرمونات ذات العلاقة بهذا الأمر، أو غير ذلك، ومنها:

١ - الضعف العام:

إن الضعف الجسمانى يؤدى إلى إضعاف الجهاز الجنسى أو إلى عدم اكتمال قوته، وينشأ الضعف العام من الإجهاد فى العمل، أو سوء التغذية، أو الإقلال من ساعات النوم، والسهر إلى ساعات متأخرة من الليل، وقد يكون لأسباب مَرَضية.

٢- مرض السكرى:

فبارتفاع نسبة السكر فى الدم لفترات طويلة تبدأ الشكوى من مضاعفات هذا المرض، وينتج مرض السكرى بسبب توقف هرمون الإنسولين عن أداء وظيفته مما يؤدى إلى تراكم السكر فى الأعصاب الموصلة للفرج، أو فى الغشاء المبطن للحويصلات الدموية الموجودة فى الفرج، أو غير ذلك من الأسباب التى تُعوِّق مرور الدم إليه، وبالتالى تؤدى إلى الضعف الجنسى.

٣ - تصلب الشرايين:

هو تراكم الدهون تحت الخلايا المُبَطِّنة للجدار الداخلى للأوعية الدموية، مما يؤدى إلى ضيقها ثم انسدادها، وحيث إن الانتصاب يعتمد على تدفق الدم من خلال الشرايين ليملأ العضو الذكري، فإن ضيق أو انسداد الشرايين الخاصة بالعضو نتيجة تصلب الشرايين يؤدى إلى ضعف أو انعدام الانتصاب؛ أى: إلى العجز الجنسى.

ويساعد على حدوث تصلب الشرايين: الإصابة بمرض السكري، وارتفاع ضغط الدم، وزيادة الكوليسترول فى الدم، والتدخين، وزيادة الوزن.

٤ - التهاب البروستاتا:

قد يكون التهاب البروستاتا مصحوبًا بألم أثناء مرور السائل المنوى أو ألم فى منطقة الخصية، مما يجعل المريض يتجنب المعاشرة الجنسية حتى يتجنب حدوث هذه الآلام.

٥- كبر السن:

وهذا حسب قوة الجسد، وحسب نوع التغذية التى كان يتلقاها الشخص.

ثالثًا: أسباب خارجية، ومنها:

١- تعاطى أدوية لعلاج بعض الأمراض، مثل أدوية ضغط الدم المرتفع والتى يؤدى معظمها إلى ضعف القدرة على الانتصاب، حيث إنه من المعلوم بأن الانتصاب أساسًا لا يتم إلا عن طريق ضخ الدم فى العضو الذكري، وهذه الأدوية تسبب بعض الهدوء فى ضخ الدم بسبب أنها تخفض ضغط الدم بصفة عامة فى الجسم، وأحيانًا يكون حل هذه المشكلة بتغيير نوع الدواء إلى نوع آخر لتفادى التأثير على القدرة الجنسية.

٢- إدمان الخمور أو المخدرات أو التدخين بأنواعه.

٣- عدم اهتمام الزوجة بالنظافة الشخصية مما يجعل الزوج ينفر منها.

وإذا كان السبب فى الضعف الجنسى سببًا عضويًا فعليك أن تستشير الطبيب المختص لإيجاد حل لتلك المشكلة، فما مِن داءٍ إلا وجعل اللهُ له دواءً، عرَفه من عرَفه وجهِله من جهِله، فلعل الله تعالى أن يوفق طبيبك فى معرفة علاجك.

وعلى الزوج الإقلاع عن كل ما يضر الصحة ويُضعف البدن، فإن هذا الجسم ليس ملكًا لك، ولكنه أمانة وهبها الله لك يجب أن تحافظ عليها، وإن كان لابد من تناول بعض العقاقير فيجب أن يكون ذلك تحت إشراف الطبيب المختص.

من أهم أسباب البرود الجنسى عند المرأة

أولاً: أسباب نفسية

١- الخوف، ومن أسبابه: التحذيرات الخاطئة للزوجة قبل زواجها مما سيحدث لها من ألم عند الجماع، أو الخشية من الحمل.

٢- الشعور بالخجل الذى يدفعها أن تتصور أن هذه العلاقة الجنسية أمر معيب، وهذا نتيجة الجهل وعدم التوعية.

٣- إحساس الزوجة بكراهية زوجها، نتيجة الفتور العاطفى تجاهها، أو قسوته عليها، أو بخله ماديًّا وعاطفيًّا ونفسيًّا عليها.

٤- إثارة الزوج غيرتها، أو تفاخره بعلاقته الجنسية مع غيرها، وأنانيته دون مراعاة لإشباع شهوتها، أو ممارسته الجنسية السريعة تاركًا إياها كإناء أفرغ فيه شهوته ثم ينصرف عنها بسرعة أو يوليها ظهره، مما قد يلجئها للبرودة الجنسية كوسيلة عقابية شعورية ضده.

٥-المشاكل النفسية مثل القلق والتوتر العصبى والاكتئاب والإحباط والملل والضيق والعصبية.

٦- العلاقة العائلية المضطربة.. وهذا يعكر الصفو.

ثانيًا: أسباب عضوية

وتنشأ عن إصابة الأعضاء الجنسية للمرأة، أو شعورها بألم أثناء الجماع، أو الضعف العام.

ثالثًا: أسباب خارجية

- عدم اهتمام الزوج بالنظافة الجسدية أو نظافة الفم والأسنان والملابس، أو انبعاث رائحة كريهة منه من أثر التدخين، مما يؤدى إلى نفورها من تعاطى بعض العقاقير الكيميائية مثل المهدئات، والمنومات، ومضادات الاكتئاب، والأدوية الهرمونية.

- عدم قيام الزوج بالمداعبة الكافية لإثارة زوجته قبل عملية الجماع.

نصائح للزوجين

فعلى الزوجة أن تتخلص مما ألم بها من خوف وخجل حتى تشبع رغبة زوجها، فإن له عليها حقًّا، والواجب على والديها - خاصة أمها - تبصرتها وتثقيفها بتلك الأمور بحكمة وتوسط دون تفريط أو إفراط.

وعلى الزوجة أن تقاوم حالات القلق والاكتئاب والملل والإحباط حتى تظهر لزوجها بصورة حسنة، فإن الوجه البشوش يذهب همَّ الزوج ويولد الشوق بينهما.

أما ما قد يقوم به الزوج من إثارة غيرتك فعليك أن تعالجى الأمور بحكمة وروية، وغالبًا ما يكون الصمت

علاجًا مناسبًا، مع إشعار الزوج بعدم الرضا بما يقال من سيء القول، وإشعاره باللامبالاة لما يثير حفيظتها به.

وعلى الزوجة أن تهتم بمعالجة ما يلم بها من أمراض، لتحفظ جسدها، وتستمتع بزوجها، وتلبى رغبتَه، وتُشبع بما أحل الله حاجتَه.

وعلى الزوجين الاهتمام بالنظافة الشخصية حتى لا يرى ولا يشم أحدهما من الآخر إلا ما يحبه.

وعلى الزوجين أن يعين كل منهما الآخر على تجديد الرغبة الجنسية بينهما بحسب حالهما، والحرص على أن يحقق كل منهما للآخر الإشباع الجنسي، فإن ذلك من أهم عوامل السعادة الزوجية والاستقرار الأسري.

وفى فترات العزوف عن اللقاءات الجنسية بين الزوجين يجب أن تقوى بينهما أواصر المودة والرحمة والألفة والعناية والملاطفة الحانية واللمسات الرقيقة، إلى أن يعود إليهما الشوق من جديد إلى ما أحل الله لهما من المعاشرة.

هذا مع العمل على معالجة ما يعترض حياتهما من مشاكل بحكمة وروية وتفاهم وحسن مناقشة وتبادل الآراء بينهما بهدوء، ولا مانع من أن يقدم أحدهما أو كلاهما

تنازلات لحل المشكلات، فتقديم التنازلات ليس عيبًا؛ ولكنه يعلى شأن المتنازِل عند الآخَر ويزداد فى عينه قدرًا، وتقوى أواصر الصلة الوثيقة بينهما.

وعلى الزوجين أن يهتما بالتغذية السليمة، والنوم المنظم، وأن يجتنبا المحرمات، وأن يجتهدا فى الطاعات قدر الاستطاعة، مع التحلى بمكارم الأخلاق وفضائلها، وبالله التوفيق.

نسأل الله تعالى أن يسعد كلَّ زوجين، وأن يستقر البيت الإسلامى ليثمر الثمرة المرجوة، فتسعد الأمة الإسلامية خاصة، والمجتمع الإنسانى عامة.

الحياة الزوجية ليست حلبة صراع

المرأة فى الماضى كانت تحلم بفتى أحلامها، زوجها الذى يعطى لها الحب والدفء والحنان، وكان للرجل أيضًا آماله وأحلامه الوردية من الحب والسكينة والاهتمام به من قِبَل زوجته الحبيبة، أما الآن فقد غلب على كلٍّ مِن الزوجين فكرة: كيف ومتى يكون هو سيد – أو تكون هى سيدة – بيت الزوجية.

وليتهما يتخذان سبيلاً لذلك: محاسنَ الأخلاق، والمواقفَ الطيبة، والتصرفات الحميدة، ولكنهما يلجآن فى

الغالب إلى المشاحنة والمجادلة والعناد وارتفاع الأصوات، واعتراض كل منهما على الآخر وانتقاده وتسفيه رأيه، فيحل الخصام بدل الوئام.

ولا شك أن كثيرًا مما يقدَّم فى وسائل الإعلام قد أثَّر تأثيرًا سلبيًّا فى أسلوب المعاملة بين الزوج وزوجته، مما يدعونا إلى مناشدة القائمين على تلك الوسائل أن يتقوا الله تعالى، وأن يسعوا إلى إصلاح الخلل، وإلى التوجيه البنَّاء الذى يساعد على صيانة الأسرة وسلامتها.

كما أنه لابد من الوعى الكامل لدى المشاهدين والمستمعين والمطالعين لما يقدَّم فى وسائل الإعلام المختلفة؛ لتمييز الصحيح من السقيم، والنافع من الضار، والسَّمين من الغثّ.

والأجدر بالزوجين أن يتبعا أسلوب الإقناع والحوار البناء، وأن يتفهم كلٌّ منهما مواقفَ الآخر ومقاصدَه، وأن يشرح كل منهما للآخر وجهة نظره بلباقة وكياسة، وأن يستمع كل منهما للآخر بإصغاء واهتمام، وأن يتعاونا معًا، ويعملا على استقرار ذلك العش السعيد بصبر وأناة، فالحياة الزوجية ليست حلبة صراع، وإنما هى سكن ومودة ورحمة، وبالعمل بوصايا الإسلام يسعد الزوجان

معًا ويستقيم أمر الأسرة.

الزوجة سيدة فى بيتها

فى حالة إذا ردعت الزوجة إلى آراء زوجها أو أوامره يقال عليها المثل الذى يقول: (ذبح لها القطة) ومثل هذه الأمثلة جعلت المرأة تسعى إلى الانتقام من الرجل، كذلك المسلسلات العربية مثل: (بين القصرين) والتى تصور المرأة أنها إنسان معدوم الشخصية لا رأى لها ولا حرية، وأنها شىء موجود مثل الأثاث الذى فى البيت، وأن الرأى الأول والأخير لـ (سى السيد) الذى ينهى ويأمر سواء كان صوابًا أو خطأً، وعليها أن تطيعه فى كل الأمور، أما هو فله أن يفعل كل ما يريد دون التفكير فى مشاعر زوجته أو أحاسيسها، وهل سوف تغضب من هذا الفعل أم لا، مما جعل المرأة تنتقم من الرجل، وفى النهاية تصبح المرأة عدوة للرجل تتصرف معه بحماقة حتى توصله فى النهاية لأى من الطريقين: إما الطلاق وهدم البيت، أو استسلامه لها، وذلك بغيض. فلابد للمرأة أن تكون خيرة الأخلاق، محبة لزوجها، مهذبة فى كلامها معه، رقيقة المشاعر معه، وعليها أن تطيع زوجها فإنه جنتها ونارها قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما

امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة)[1]، وكما قال ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أى أبواب الجنة شاءت)[2]، وقال ﷺ: (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[3] وذلك من عظيم حقه عليها.

والأسباب التى تجعل المرأة عدوانية، هى أربعة أسباب:

الأول: الشعور بالنقص والضعف.

الثانى: أنها تقلد أمها.

الثالث: العناد الذى قد يكون طبعًا فى شخصيتها.

الرابع: أنها لا تحب زوجها ولا تتكيف معه.

نصيحة إلى الزوجة

أيتها الزوجة: اعلمى أنك بهذا العناد سوف تسعين

(١) سنن الترمذى ٣/٤٦٦ ح١١٦١، وسنن ابن ماجه ٣/٣٠٧ ح١٨٥٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٩/٤٧١ ح٤١٦٣.

(٣) سنن الترمذى ٣/٤٦٥ ح١١٥٩.

نحو خراب بيتك، فالزوج له طاقة على الصبر وتحمل البلاء.

إن طاعتك لزوجك تجعلك تكسبين حبه واحترامه لكِ، ومنها يعلو قدرك عنده، ومعها يرضى الله عنك، أسمعيه من لسانك كلمات الحب، ودعيه يستشعر منك بالألفة والحنان والحب، وأن تكونى له كما قال الرسول: (ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة)[1].

وقد أوصى أحد حكماء العرب ابنته ليلة زفافها فقال:

يا بنية، قد كانت والدتك أحق بتأديبك منى لو كانت باقية، وأما الآن فإنى أحق بتأديبك من غيرى، افهمى عنى ما أقول:

إنك قد خرجت من العش الذى فيه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفيه، وقرين لم تألفيه، كونى له أرضًا يكن لك سماء، وكونى له مهادًا يكن لك عمادًا، كونى له أمة يكن لك عبدًا، لا تلحفى به فيقلاك، ولا تتباعدى عنه فينساك، إذا دنا فاقربى منه، وإن نأى فابتعدى عنه، واحفظى أنفه وسمعه وعينه، لا يشم منك إلا طيبًا، ولا

(١) سنن ابن ماجه ٣/٣٠٨ ح١٨٥٦.

يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلاً، واكرهى العزل كراهية شديدة، فإنه دقيقة من الشرك الخفى، وفيه نهى رسول الله ﷺ.

ولا يجوز للزوجة أن تتخذ من زوجها مواقف تشعره بالعدوانية تجاهه، فالمرأة الحكيمة لا تفعل ما هو من نتائج الشعور بالنقص، أو ما يجعلها صورة مقلدة لأمها فيما يضر ولا ينفع، وعلى المرأة أن تتفادى العناد الذى يجر كثيرًا من المشاكل على الحياة الزوجية.

أيتها الزوجة: إن العناد والإصرار فى بعض المواقف يعرض الحياة الزوجية للخطر، وبطاعتك لزوجك فيما لا يغضب اللهَ تعالى تكسبين حبه واحترامه لكِ، ويعلو عنده قدرك، ويكون راضيًا عنكِ، ورضا الزوج ليس بالأمر الهيِّن.

فالمرأة مطالبة بما طولب به الرجل وأكثر، وإن ما طولب به الرجل فى جانب ما وجب على المرأة شىء قليل، فإن الرجل مهما كان فاسدًا مفسدًا خارج البيت، فإنه يجد من يرده ويقهره على ترك الفساد، ولكن المرأة فى بيتها ليس معها من يردها، فإنها تكون بين أبناء صغار يعتقدون نزاهتها وكمالاتها، أو خدمًا يطيعونها طاعة

عمياء.

أدعوكِ أيتها الزوجة الحكيمة للعمل بمثل تلك المعاني؛ لتكونى فى حقيقة الأمر ملِكةً على مملكة صغيرة وهى الأسرة، التى بصلاحها يصلح الله تعالى المجتمع كله.

واعملى بقول القائل:

وزوجة المرء عون يستعين بها
على الحياة ونور فى دياجيها
مسلاة فكرته إن بات فى كدر
مدت له لتواسيه أياديها
فى الحزن فرحته تحنو فتجعله
ينسى بذلك آلامًا يعانيها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة
تدبر الدار تدبيرًا ينجيها

الزوج سيد فى بيته

أيها الزوج: إن الله ﷻ قد ملكك الزوجة، فلا تقلب بهواك حكمة الله فينقلب الأمر عليك، قال ﷺ: (تعس عبد الزوجة)(١) لأنه إذا أطاعها فيما تهوى دخل تحت التعس، فكأنه قد بدل نعمة الله كفرًا، لأن الله ﷻ جعله

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٤.

يدها فى قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ وسف: ٢٥)، يعنى زوجها، ولا تعودها عادة فتجترئ ليك وتطلب المعتاد منك، فهى على مثال أخلاق النفس واء، إن أرسلت عنانها جمحت بك، وإن أرخيت عنانها رًا جذبتك ذراعًا، وإن شددت يدك عليها وكبحتها ملكتها علها أن تطوع لك.

ومن وصايا بعض العرب لبناتهم: يا ابنتى اختبرى وجك، وقبل أن تقدمى عليه انزعى زج رمحه، فإن سكت لذلك قطعى اللحم على ترسه، فإن أقر فاكسرى لعظام بسيفه، فإن صبر فاجعلى الإكاف على ظهره وامتطيه ؛ فإنما هو حمار.

عليك أيها الزوج أن تصاحب زوجتك، فقد شبه المولى عز وجل حسن القيام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥)، بأخلاقك وكرمك. وقال سبحانه فى أمر النساء: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، فكن كريمًا مع أهل بيتك وأطع الله فيهم كما قال الله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ (النساء: ٣٦)، قيل: هى المرأة، وآخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن يقول:

(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، والله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم – يعنى أسرى – أخذتموهن بعهد الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[١].

نصيحة للرجل

إذا أردت أن تتزوج يجب عليك أن تتعلم ما تحتاج إليه المرأة من حسن العشرة، والقيام بما لها عليك وجميل المداراة ولطف المفاوضة، وتعلمها ما يلزمها من أحكام حتى لا تلجأ إلى الخروج بدون إذنك.

واعلم أن أنواع الرجال والنساء أربعة هى:

١- رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوّام عليها.

٢- ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهى قوّامة عليه.

٣- ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان.

٤- ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان.

---

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢١.

نصيحة للزوجين

على الزوجين أن يتحليا بالحكمة والصبر لكى يصل كل منهما إلى بر الأمان بالذرية الصالحة بحسن تربيتهما لكى نبنى البناء السليم فى المجتمع الإسلامي، فلا للغضب ولا للكره فإنهما يوصلان إلى الجمود فى المشاعر من كليهما، أى: الزوجين، فعليكما بالحب والمودة والرحمة.

وليتعاون كلا الزوجين ليَسُود كلٌّ منهما فى مجاله بطاعة الله ورسوله ﷺ؛ ويتجملا بمعانى قوله جل شأنه: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، وبالله التوفيق.

التدخل الخاطئ للأهل يضعف الروابط الأسرية

من المفترض أن المصاهرة تؤدى إلى تقوية الروابط العائلية، ولكن للأسف تسقط أقنعة من على وجوه لا نراها إلا بعد الزواج، وصدق رسول الله ﷺ حين قال:

(الناس معادن)[1].

فكثير من بيوت الزوجية لا تخلو من تدخلات الأهل فى شئون أبنائهم المتزوجين، مما قد يؤدى إلى ضعف الروابط الأسرية، بل قد يصل الأمر إلى صراعات بين الزوج وأهل زوجته، أو بين الزوجة وأهل زوجها، وتدب الخلافات بين الزوجين بسبب ذلك.

وكلاًّ من الزوجين يعتقد أن أهله أصوب رأيًا وأصدق مشورةً، فينقاد كل منهما إلى رأى أهله والأخذ بمشورتهم تعصبًا، وكثير من الأُسَر لا تراعى أن تكون النصائح والإرشادات والمواقف لتحقيق استقرار الأسرة الجديدة والحرص على استمرارها، بل يغلب عليها حب السيطرة ونفوذ الكلمة والأنانية والتسلط؛ حقًّا كان ذلك أو باطلاً.

علاقة أهل الزوج بالزوجة

هناك بعض السلوكيات التى لا تعجب الزوجة من أم زوجها مثل النقد الدائم، والتقليل من قيمة ما تقوم به الزوجة من أعمال، فما سبب ذلك السلوك تجاه زوجة

---

(١) صحيح البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ ح٣٣٨٣.

الابن؟، أهو غيرة الأم من زوجة ابنها واعتقادها أن زوجة ابنها اختطفته منها واستحوذت عليه؟!.

وفى هذه الحالة يكون السؤال:

ماذا يفعل الزوج تجاه كلٍّ من زوجته وأمه؟، أيقف مع زوجته ضد أمه فيدخل فى دائرة العقوق؟، أم يقف مع أمه ضد زوجته فيخسر احترام زوجته له؟.

والحكمة أن يتحلى الزوج بالكياسة والذكاء فيرضى أمه ويطيِّب خاطرَها حتى وإن كانت مخطئة، فإن الأم لا تدوم له ولا تعوَّض ، وفى نفس الوقت لا يهمل زوجته، بل يرضيها هى الأخرى ويمتص غضبها فى جو هادئ يحيطه بدفء حنانه وطيب كلامه وسعة صدره، ويذكر لها بأسلوب مهذب أن أمه امرأة كبيرة ولها حقوق عليه، وعليها أن تصبر على أمه، فتلك الزوجة قد تكون فى يوم من الأيام فى نفس الموقف، وعلى الزوج أيضًا أن يُشعِر زوجته أنها أحب الناس إلى قلبه، وأن يدخل الثقة والطمأنينة فى قلبها، وأن حبه لأمه واحترامه لها لا يتناقض مع حبه لزوجته وتقديره لها، وأن يحرص الزوج على أن تتعقل زوجته الأمر، وتكون بذلك قريرة العين راضية النفس.

ومن الخير للجميع أن تعامل الزوجةُ أمَّ زوجها كما تعامل أمَّها، وأن تشملها بحبها واحترامها، وأن تصبر على سوء طبعها أو جفوة معاملتها إن كانت كذلك، وعليها امتصاص غضبها، وتحمل لومها وتقريعها إن صدر منها، ويستحب منها أن تثنى على ما يصدر من أم الزوج من مشاركة لها فى عمل من الأعمال أو موقف من المواقف، وأن لا تقبِّح كلامًا أو تصرفًا صدر منها، وأن تجتهد أن تجد لها عذرًا فى كل ما يصدر منها مما لا يشين دينًا أو خُلُقًا، وعلى الزوجة أن تتطوع بالمساعدة والمعاونة لأم زوجها بما يشعرها أنها حريصة على راحتها وكسب رضائها.

ولا مانع من استشارتها فى بعض ما يخصها من ملبس وغيره، وبين الحين والحين يَجْمُل أن تهدى الزوجة إلى أم زوجها بعض الهدايا التى تعبر عن حبها لها، وجميل عنايتها بها، وحرصها على كسب ودها.

كما أن على الزوجة أن تشغل نفسها بما تتجمل به من الآداب الواجبة عليها، مما بينه الإمام أبو العزائم فى كتابه: (الإسلام نسب) فتتعلم كيف تطيع زوجها، وكيف تحفظ عرضها، وكيف تعاشر أقارب زوجها، وكيف

تتصرف فى المملكة التى صارت رئيستها؛ مما يجعل زوجها منشرح الصدر منها، وتتعلم آداب المجالسة مع أقارب زوجها وغيرها من النساء.

ولا شك أن شغلها بذلك وحسن قيامها به سيساهم إلى حد بعيد فى تحسين صورتها فى عين أم زوجها وتحقيق رضاها عنها، وهذا بالقطع سيضفى نوعًا من الهدوء والسكينة فى منزل الزوجية مما يجعل الزوج أكثر حبًّا لزوجته وسكونًا إليها.

وعلى المرأة أن تعلم أن كثيرًا مما أُشيع بين الناس من إلصاق الصفات الرديئة بأم الزوج ليس صحيحًا، فالناس تختلف طباعهم وأخلاقهم أزواجًا كانوا أو أمهات أزواج، كما يجب الحذر الشديد مما تعرضه وسائل الإعلام التى يديرها العلمانيون، ويهدفون فيها إلى إفساد الأخلاق والقيم.

وعلى الزوجة أن تسعى فتحمل أقوال أم الزوج وأفعالها على أحسن الوجوه، وأن تحسن الاعتقاد بها، وأن تعمل بمقتضى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢).

وعلى الزوجة أن تحث زوجها على البر بوالديه، وحسن معاملة أهله، ودوام زيارتهم، والمبادرة إلى صلتهم، والوقوف بجانبهم فى الملمات، والمعونة عند الحاجات، فذلك مما يغمرها بحبهم، والأهم من ذلك أن فيه مرضاة لله سبحانه، وقد يأتى اليوم الذى تحس فيه أنها بذلك العمل الصالح قد أحسنت لنفسها، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾ (فصلت:٤٦).

علاقة أهل الزوجة بالزوج

لا شك أن كل أمّ تريد لابنتها أن تعيش حياة زوجية سعيدة مستقلة لا يشاركها فيها أحد، والأم هى المدرسة التى تتعلم منها ابنتها، والمرجع الذى ترجع إليه فى كثير من شئون حياتها، وتعمل بوصاياها خاصة فى بداية الحياة الزوجية، وفى ذلك ما يوجب على الأم الحرص على توخى الحكمة والاتصاف بسداد الرأي، وأن تغذى ابنتها بمثل ذلك لتعينها على خوض غمار حياتها الزوجية، متحلية بالشعور بالمسئولية، وإدراك قيمة بيت الزوجية، وشدة الحرص على المحافظة عليه.

كما أن من الحكمة أن تعامل أسرة الزوجة زوجَ ابنتهم

على أنه واحد من تلك الأسرة، وأن تحيطه بمزيد الاهتمام، وتعيره شديد الاحترام، وتشعره بحسن التقدير، فهو زوج ابنتهم وراعيها، وقد استودعوها أمانة عنده، وشريكة لحياته، ومؤازِرة له ومعينة، فعليهم أن يعلِّموها حسنَ القيام بواجبه، ويرشدوها كيف تصون عرضه وماله، وتطيع أمره، تسره إن نظر إليها، وتحفظه إن غاب عنها.

وإياك أيتها الأم التدخل فى شئون ابنتك المتزوجة إلا بالقدر الذى يساعد على دفء المودة، وإصلاح الأمر، ولتكونى حكيمة، وأعينى ابنتك أن تكون لزوجها أرضًا حتى يكون لها سماء، ولا يسمع إلا حسنًا، ولا ينظر إلا جميلاً، وهذا أفضل من أن تأخذك العزة بالإثم فتدسى أنفك فى صغير الأمر وكبيره من شئون ابنتك، فتفسدين ما يعجز الناس عن إصلاحه، وتهدمين بيتًا يحب الله أن يبنى على المودة والرحمة، فتحولينه بسوء تصرفك إلى عداوة ونقمة، وتتسببين فى تعاسة مَن هى مِن أحب الناس إليك.

والزوجة العاقلة تحرص على أن تسمع من أمها ما يفيد استقرار حياتها الزوجية، وتترك ما يعكر صفو تلك

الحياة، فليس كلام الناس قرآنًا يُتلى أو سنة واجبة الاتباع، فخذى من أمك واتركى بقدر ما يتلاءم مع سعادتك وزوجك ، خذى ما يطيب، واتركى ما يعيب.

وعلى الزوجة أن تتعامل مع زوجها بعيدًا عن تدخلات الأهل، إلا فى حالة تعثر الحياة بينهما كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

نصيحة لأم الزوجة

أيتها الأم؛ لا ننكر فضلك فى تربيتك وحسن تعليمك لابنتك، لكنها أصبحت الآن فى بيت من اختارتهم هي، وأصبحت عصمتها فى يد زوجها، فلا تحاولى أن تتدخلى فى شئونها هى وزوجها، ارقبيهم من بعيد، تحسسى أخبارهم، هل هم سعداء أم لا؟ لا تبادرى بالنصيحة إلا إذا رأيتَ ابنتك ستخرج عن القيم والعرف والتقاليد الحسنة، ولا تُجَرِّئيها على زوجها، بل انصحيها بطاعته واحترامه، وعرِّفيها أن زوجها جنتها ونارها، ولا تحاولى أن تبعدى زوج ابنتك عن أهله، ولا أن تلقى العداوة بينه وبينهم، ولا تساعدى ابنتك على ذلك، أتحبين أن يعاملك ابنك مثلما

تحبين أن يعامل زوج ابنتك أهله؟، يجب أن تتحلى بقول سيدنا رسول الله ﷺ: (لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنفسِه)[1].

نصيحة لأم الزوج

تذكرى أيتها الأم أن زوجة ابنك تركت بيت أهلها وانتقلت إلى بيت ابنك، والمطلوب منك أن تعامليها كأم ثانية لها، وأن تعطفى عليها، وتتعاملى معها كما تتعاملين مع بناتك، واعلمى أن سعادة زوجة ابنك تصب أولاً وأخيرًا فى سعادة ابنك، والعكس صحيح، ألا تتمنين سعادة ابنك فلذة كبدك؟، فأين حبك له لو عاديت زوجته وحبيبته التى اختارها لنفسه، واعلمى أن تشتيت همِّ ابنك بسبب زوجته أشد من ألم الجسم، فقومى بما عليك تجاه زوجة ابنك كى يعيش حياة سعيدة.

(١) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ح١٣، وصحيح مسلم ١/١٥٨ ح٦٤.

المعاملة بين الزوجين

فِى ظِلِّ قوَامَةِ الرَّجُل

المرأة هى الدعامة الأساسية فى استمرار الحياة الزوجية، فإذا صلحت صلح البناء، وإن فسدت فسد البناء، قد أوكل الله تعالى القوامة للرجل وأمر الزوجة بطاعة الزوج فقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

والقوَّام: يعنى أنهم لهم الهيمنة عليهن قيامًا بجميع شئونهن، ولا يجوز للمرأة أن تتصرف فى بيت الزوج ولا فى أولادها منه ولا فى نفسها هى أيضًا إلا بأمر زوجها بما له عليها من القوامة.

وقيل فى معنى تلك الآية الكريمة (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء): الرجل قيِّم على المرأة يعني: هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، وعن ابن عباس رضي الله عنه: يعنى أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله.

﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: قائمون عليهن قيام الولاة على الرعية، فى التأديب والإنفاق والتعليم، وهو تفضيل الله لهم على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة فى الأعمال والطاعات، بِما أَنفَقُوا مِن أَموالِهِم فى مهورهن، ونفقتهن، وكسوتهن،. فيجب على الزوج أن يقوم بالعدل فى أمر نسائه.

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ يعني: الصالحة منهن قانتة خاشعة مطيعة للزوج ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾: أنها تحفظ غيبة زوجها حفظًا يقتضى عفافها وحفظ ماله وولده، حفظت ذلك بحفظ الله: بما جعل الله فيها من الأمانة والحفظ، وبما ربط على قلبها من الديانة، أو بحفظها حق الله، فلما حفظت حقوق الله حفظها الله بعصمته، لقوله ﷺ: (احْفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ)[1].

فمن كانت على هذا الوصف من النساء فيجب على الزوج حُسن القيام بها، ومقابلتها فى القيام بما قابلته من الإحسان، وعنه ﷺ أنه قال: (ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها

(١) سنن الترمذى ٤/٦٦٧ ح٢٥١٦.

أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)[1].

وكأنه تعالى يقول: الرجال قوامون على النساء، فمن كانت صالحة قام عليها بما تستحقه من حسن المعاشرة، ومن كانت ناشزة عاملها بما تستحقه من الوعظ وغيره.

وهذا كله لا يعنى أن العلوَّ للرجل والدنوَّ لكِ أيتها الزوجة، فقد أعطى الله تعالى الرجل المؤهلات العضوية والنفسية والعصبية التى تعينه على أداء مهامه وتحمل عناء العمل والفكر وتكسبه المال لكى ينفق على أسرته، أما أنت أيتها الزوجة فلك مهام أخرى، فالحمل والوضع والإرضاع وتربية الأطفال والعناية بشؤون البيت: هى مهام وخصائص أوكلها الله إليك لكونك رقيقة وعاطفية، وبهذا تنتظم الحياة الزوجية.

عدم الإكثار من الخروج والزيارات

حاولى أيتها الزوجة عدم الإكثار من الزيارات لصديقاتك وجيرانك وأهلك، فإن ذلك قد يتسبب فى تعكير صفو الحياة الزوجية فيما بينك وبين زوجك ويؤثر على علاقتكما وعلى قدرتك على رعاية أولادك وحسن

(١) سنن أبى داود ٢/٥٠ ح١٦٦٦، والمستدرك للحاكم ٢/٣٦٢ ح٣٢٨١.

تربيتهم، لذا لابد أن تكون هـذه الزيـارات فـى حـدود المعقول، ولا تخرجى إلا بإذن زوجـك، واعلمـى قـول سيدنا رسول الله ﷺ: (أيُّما امرأة خرجت مِن بيتِها بغير إذنِ زوجِها كانت فى سخط اللهِ حتى ترجعَ إلى بيتِهـا أو يرضى عنها زوجُها)[١].

وجوب اهتمام الزوج بزوجته

عليكَ أيها الزوج الاهتمام بزوجتك، ويجب عليـك أن تستمع لشكواها ولو كانت تلك الشكوى صغيرة أو بسيطة، فقد يكون ما تشكو منه كبيرًا عندها، فزوجتك تعانى مـن الوحدة فى غيابك عنها، فاصغ إليها حتى لا تظـن أنـك تهملها، وعليك أن تهتم بالترفيه عنها، ومصاحبتها للتنـزه والخـروج إلـى بعـض الأمـاكن العامـة كالحـدائق والمتنزهات، وزيارة الأهـل والأقـارب، حتـى تـشعر زوجتك باهتمامك بها واشتغالك بما يسرها.

وأكثِرْ من شُكرِها على عملها وقيامها بواجبها داخـل البيت، فهذا لا شك يدخل السرور علـى قلبهـا، وعليـك

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ١٦/٣٨٢ ح٤٥٠٠٦، والجـامع الكبيـر للسيوطى ١٠/٣٩٤ ح٩٨٨٧.

باستشارتها والتحاور معها فى شئون حياتكما، وإيـاك أن تتصرف معها على أنها مجرد عاملة أو خادمة فى البيت، وكن لطيفًا فى معاملتك معها، وافتح معها من الحوار مـا يجعلها آنسة به، شغوفة بمجالستك، وهوِّن عليها ثقل مـا تقوم به من أعمال منزلية بإظهار التقدير لها، والعرفـان بقيمة ما تقدمه لبيتها وزوجها وأولادها، وأشعِرْهَا بأنوثتها بطيب الغزَل وحسن المداعبة، وامدح كل ما يقدِّم لك منها من طعام وشراب، واثْنِ على ذوقها فى ترتيـب المنـزل والاهتمام به، وحسن تدبيره والإشراف عليه.

الحذر من وسائل الإعلام

وأنصح الزوجين معًا بالحذر من التليفزيون والإنترنت فإنهما يُضيعان الوقت ويُنسيان الواجبات، والوقـت ممـا يُسأل عنه العبد يوم القيامة كما قال ﷺ: (لا تزول قدمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمـرِهِ فيمـا أفناه، وعن جسدِه فيما أبلاه، وعن مالِه فيما أنفقَه ومن أين

اكتسبه، وعن حُبّنا أهل البيت)[1].

ومن ناحية أخرى فإن وسائل الإعلام – فى معظمها– هى فى الحقيقة تهدف الى هدم الفضائل والأخلاق الإسلامية الحسنة، والواجب علينا أن نكون واعين لما يُدَسّ فيها من مواد تعمل على فساد الأُسَر وليس على إصلاحها.

المشاركة فى مواجهة متاعب الحياة

ودور الزوجة هام فى تخفيف آلام زوجها ومشاركته أعباء حياته بقدر الطاقة والاستطاعة، وأن تكون عونًا له فى مِحَنه، وأذنًا صاغية ليبثها همومه وما يشغله، ويحكى لها ما يعانيه ويكابده، سواء فى محيط عمله أو علاقاته بالناس فى حدود ما يبيحه له الشرع الشريف، وعليها أن تشاركه بكلماتها الطيبة ومواقفها النبيلة، وتشجعه على تخطى العقبات، وتساعده على إيجاد حلول لمعضلات أموره، وعليها أن تسعى لتكون تلك المرأة التى يتحدثون

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى ١١/١٠٢ ح١١١٧٧، والمعجم الأوسط للطبرانى ٢٠/٢٥٥ ح١١٤٦٢، ومجمع الزوائد للهيثمى ١٠/٦٢٦ ح١٨٣٧٠، وكنز العمال للمتقى الهندى ١٤/٣٧٩ ح٣٩٠١٣.

عنها فى المثل المعروف: (وراء كل عظيم امرأة)، فلتكونى أنت أيتها الزوجة تلك المرأة بالنسبة لزوجك.

وعلى الزوج أن يشارك زوجته مِحَنها، وأن يُشعرها بإحساسه برِقّة مشاعرها، وأن يراعى حالتها النفسية عمومًا، وخاصة فى تلك الفترة التى تعانى فيها من الأذى الذى يصيبها بين الحين والحين والذى أخبرنا الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، وليتحمَّل الزوجُ انفعالاتها وعصبيتها، وليطيِّبْ خاطرَها، وليُوسِّعْ عليها فى الإنفاق قدر وسعه، وليُلَبِّ لها ما استطاع مما يُدخل السرور عليها، وليُشعِرها باهتمامه بها وسعيه لراحتها وسعادتها، وليَسْعَ لتصفية العلاقات فيما بينها وبين أهلها إن شابَ صفو تلك العلاقات ما يعكِّر، وليكنْ مروِّضًا لها ومعلمًا، وملقِّنًا لها من مكارم الأخلاق وفضائلها ما استطاع، بعيدًا عما قد يثير انفعالاتها أو غضبها، أو تحريضها على فعل أو قول ما لا يليق، خاصة مع الأهل والأقارب والجيران.

الحذر من الغضب

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديدُ الذى يملِك نفسَه عندَ الغَضَب)[1]، وعن ابن عباس ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت: ٣٤): الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤) أى: قريب.

فما بالنا لو تحققت معانى تلك الآية الكريمة بين الزوج وزوجته.

فعلى الزوجين مجاهدة نفسيهما ليتحكما فى الغضب، وعلى الزوجة أن تعلم أن زوجها يتعرض لمشقة فى عمله، لتأمين النفقة عليها وعلى أولاده لينعموا جميعًا بحياة سعيدة، ودور الزوجة أن تقدّر ذلك وأن تراعى مقتضياته، فيجد الزوج عند زوجته راحة البال والسلوى من عناء عمله وكده.

وعلى الزوجة أن تعتنى بزوجها، وأن تواجه غضبه

(١) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ح٦١١٤، وصحيح مسلم ١٩/١٣ ح٤٧٢٣.

بهدوء فإنه غضبٌ مؤقت، وقد يكون وراء ذلك الغضب عوامل خارجية لا دخل للزوجة فيها، فعليكِ أيتها الزوجة أن تتلمسى أسبابَ غضبه فى محاولةٍ لمعالجته، ليتحقق التوافق بينكما والرضا.

ولنتذكر قول المصطفى ﷺ: (ألا أخبرُكم بنسائِكم فى الجنة؟ قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: كل وَدُود، وَلُود، إذا غضِبَتْ أو أُسِيءَ إليها أو غَضِبَ زوجُها قالت: هذه يَدِى فى يَدِك؛ لا أكتحلُ بغُمُضٍ حتى ترضَى)[1].

وإياكِ أيتها الزوجة أن تطلبى من زوجك شيئًا أثناء غضبه، لأن ردَّه سيكون غالبًا بالرفض، وطلبك هذا وقت غضبه قد يؤلمه نفسيًّا ويوحى إليه أنك لا تهتمين بمعالجة أسباب غضبه وإنما يغلب عليك التفكير فى مطالبِك أنتِ، وهذا يُشعِرُه بغصة ومرارة، وقد يستاء منك، وقد يوجه إليك عتابًا أو انتقادًا أو لومًا أو تجريحًا، وأنت فى غنى عن كل ذلك، فاختارى الوقت المناسب لطرح ما تطلبين.

قال رجل مخاطبًا زِوجته:

خذِى العفو منى تستديمى مودَّتى
ولا تنطقِى فى ثورتى حين أغضبُ

(١) المعجم الأوسط للطبرانى ٢٧٠/٤ ح١٨١٠.

ولا تنقرينى نقرك الدف مرةً
فإنك لا تدرين كيف المُغَيَّبُ
ولا تُكثِرِى الشكوى فتذهب بالهوى
ويأباك قلبى والقلوبُ تُقَلَّبُ
فإنى وجدتُ الحبَّ فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحُبّ يَذهَبُ

وأنتَ أيها الزوج يجب عليك أن تكون حليمًا مع زوجتك، وإن غضبَتْ فتحمّلْ غضبَها، ولنَعْمَل بما أورده الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم (رضي الله عنه) فى كتابه (الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها) أن الزوج إن كان من أهله زلة أو هفوة احتمل ذلك، ورفق بها ولم يعنفها، ففى الحديث: (إن المرأة كالضلع إذا ذهبت تقيمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج)[1]، وفى لفظ حسن: (وكسرُها طلاقُها).

وقد كان أزواج النبى ﷺ يراجعنه القول، وتهجره إحداهن يومًا إلى الليل، ودفعت إحداهن فى صدره فزجرتها أمها، فقال: (دَعِيهَا فَإِنَّهُنَّ يَصنعنَ أكثرَ مِن

(١) صحيح مسلم ٣٩٩/٧ ح٢٦٦٩.

هَذَا)[1] وجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين عائشة (رضي الله عنها) كلام، حتى أدخل أبا بكر (رضي الله عنه) بينهما حكمًا واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ: (تكلمين أو أتكلم؟) قالت: بل تكلم أنت ولكن لا تقل إلا حقًا، فلطمها أبو بكر (رضي الله عنه) حتى دمى فُوهَا وقال: أى عدوةَ نفسِها، أو يقولُ غيرَ الحقِّ؟ بل أنت وأبوك تقولان الباطلَ ولا يقولُ رسولُ الله ﷺ إلا حقًّا – نصرةً لرسول الله ﷺ وغضبًا له – حتى استجارت بالنبى ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبى ﷺ: (لَمْ نَدْعُكَ لهذَا، ولَمْ نُرِدْ هَذَا مِنك)[2]. وقالت له مرة فى كلام: أنت الذى تزعم أنك نبى، فتبسم رسول الله ﷺ حلمًا وكرمًا[3].

وكان ﷺ يقول لعائشة (رضي الله عنها): (إنى لأعرفُ غضبَكِ من رِضَاكِ، قالت: وكيف تعرفُ ذلك؟ قال: إن رضيتِ قلتِ: لا وربِّ محمد، وإذا غضبتِ قلتِ: لا وربِّ

(١) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢٢٩/٢.
(٢) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢٢٩/٢.
(٣) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧٢٢/٤.

إبراهيم، قالت: صدقتَ، إنما أهجرُ اسمَك)[١].

وقد كان ﷺ يمزح مع أزواجه، ويقاربهن فى عقولهن فى المعاملة والأخلاق (كان رسولُ الله ﷺ مِن أفكه الناسِ مع نسائِه)[٢].

وقال لقمان الحكيم: العاقل فى بيته ومع أهله كالصبيّ، فإذا كان فى القوم وُجد رجلاً: (لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى)[٣] قيل: هو الشديد على أهله، المتكبر فى نفسه.

وكظم الغيظ برهان على جهاد العبد نفسه، مسارعة إلى نيل رضاء الله تعالى، وأعلى منه وأفضل أن يحسن إلى المسيء، قال رسول الله ﷺ: (أَحْسِنْ إلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ).

فعلى الزوجين أن يستعيذا بالله من الشيطان عند الغضب، وأن يتوضآ ويصليا ركعتين، قال ﷺ: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما

(١) صحيح ابن حبان ١٠/١٧٤ ح٤٣٣١، والمعجم الكبير للطبرانى ٢٣/٤٥ ح١٢٠.

(٢) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٣.

(٣) سنن أبى داود ٤/٤٠١ ح٤٨٠٣.

تطفأُ النارَ بالماءُ، فإذا غضِبَ أحدُكم فليَتَوَضَّأْ)[١].

على الزوجين أن يتحاوروا فيما بينهما

وعلى الزوجين أن يحذرا الشجار أو إظهار الخلاف أمام غيرهما - خاصة الأولاد والأهل والجيران - وليَسَعْ الزوجان إلى إيجاد حلول لما اختلفا عليه فيما بينهما، وليُحَاوِلْ كلٌّ منهما أن يتناسى تلك الخلافات، فإن الزمن كفيل - بفضل الله تعالى - بمعالجة الكثير منها، والله يعينكما دائمًا لفعل الخير والبُعد عن الشر، حتى تكوِّنَا أسرة سعيدة، قائمة على الحب والتفاهم.

علاج المشكلات

التى قد تعترى الحياة الزوجية

إن بيوت الزوجية لا تخلو من المشاكل ، ولكن لماذا؟ ولماذا تستمر؟ وإلى أى حد ستظل مستمرة؟ مع العلم بأن الله تعالى قال : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٩)، فما معنى البيت

(١) سنن أبى داود ٤/٣٩٦ ح٤٧٨٦.

الإسلامى؟. والجواب: هو الذى يتكون من الزوج والزوجة والأولاد، والذى يربطهم ببعض هو رباط الحب، فعلى الزوجة أن تسعى لتعلم ما يسعدها فى بيتها مع زوجها وأبنائها ، قالت عائشة: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين)[1].

وأول ما يجب أن تتعلميه أختى المسلمة ما أوصى به الإمام أبو العزائم فى كتابه (الإسلام نسب) حين قال: على المرأة أن تتعلم الإيمان، ثم تحفظ ما لا بد منه من القرآن خصوصًا الآيات التى تتعلق بالعفة والأمانة وأركان الإسلام من صلاة وصيام أولاً.

وعليكما - أى الزوج والزوجة - أن تسعيا لنجاح هذه العلاقة حتى تدوم المحبة بينكما .

ما يحبه الزوج

أيتها الزوجة يجب عليك تعلم ما يحبه الزوج، فالزوج يحب أن يرى فى زوجته سمات معينة مثل:

- الطاعة له فى كل شيء إلا ما نهى الله ورسوله

(١) صحيح البخارى، كتاب العلم، باب الحياء فى العلم، وصحيح مسلم ٢٢٢/٢ ح٥٠٠.

عنه.

- **المحافظة على ماله.**
- **الأخلاق الحميدة** كعدم التبرج خارج المنزل، وألا ترفع صوتها **عليه، وألا تخرج** من البيت إلا بإذنه.
- أن تسره **إذا نظر** إليها.
- أن تحثه **على صلة** رحمه وبر والديه وعمل الخير.
- تربية **أولادهما على** طاعة الله وحب رسوله والقدوة الحسنة.
- أن تصبر **عند فقره**، وتشكر عند غناه.
- أن تظهر **حبها** له وتشعره بأهميته لديها.
- أن تحسن اختيار الوقت المناسب عند طلب شيء منه.

ما تحبه الزوجة

وأنت أيها **الزوج** عليك أن تعلم السمات التى تحبها الزوجة، ومن **هذه** السمات:

- أن تكون **مبتهجًا** عند رؤيتك لها ، وأن تتحدث معها وتشعرها **بأنوثتها وجمالها**، وأن تكلمها بالكلام الطيب، وأن تشعرها **بالمشاركة معك** فى أمورك الخاصة والعامة.
- أن تناديها بالأسماء والألقاب التى ترغب أن تسمعها

منك.

- أن تهيئ لها جوًّا مليئًا بالأنس، وأن تذكرها بالذكريات الجميلة كأيام الخطوبة، وأن تلاعبها كالطفلة.

الحياة الزوجية شراكة ورباط

إن الحياة الزوجية هى شراكة بين الزوج والزوجة، فلابد أن يبذل الزوجان قصارى جهدهما لينالا السعادة الزوجية، فيجب على كلا الزوجين أن يفهم كل منهما الآخر.

إن الحياة الزوجية رباط مقدس بينكما تجنيا منها أطيب ثمار وهم الأبناء، فعليكما أن تبذلا قصارى الجهد والحب والإخلاص، والتأكد بأن كلا منكما قام بعمل ما يرضى الله ورسوله تجاه الآخر.

علاج النشوز

أما إذا رأى الزوج من زوجته استخفافًا منها بحقه، وعدم طاعة له، أو إعراضًا عنه مثل الخروج من المنزل بدون إذنه، وترك حقوق الله كالطهارة والصلاة، أو إغلاق الباب دونه، أو خيانته فى نفسه وماله، قال تعالى: ﴿وَاللاَّتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى

الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ (النساء: ٣٤)، فعليه أن يقوِّمها بأن ينصحها أولاً بما أمرها الله ورسوله نحوه ، فإن أبت أن ترجع عن المعصية والإعراض عنه فعليه أن يهجرها فى المضجع، بترك الاستمتاع والإعراض والجفاء، فإن أبت الإياب إلى ما يلزمها له فليضربها ضربًا غير مبرح (غير مؤثر ولا موجع بيد أو عصا خفيفة) لتعود إلى الواجب عليها من طاعة الله فى اللازم لها من حقوقه، فإن أطاعته - على بغضها له - فلا يجنى عليها، ولا يكلفها محبته، فإن ذلك ليس بيديها.

فإن حدث شقاق بينهما فعلى الأهل الالتزام بما أمر به المولى سبحانه وتعالى فى قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥)، ويعنى هذا أن يبعث حكمًا من أهله وتبعث حكمًا من أهلها فينظر الحكمان فى أمر الزوجين، ويطلعان على أسباب الخلاف التى أدت إلى ما آل إليه الخلاف، وليس لهما أن يعملا شيئًا فى أمرهما إلا ما وكلاهما به، فإن كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته فإن هذا يشعره بأهمية

زوجته، وإن كانت المرأة هى المسيئة قوّموها بما يتناسب معها، وقد يكون حجبها عنه علاجًا لها لتحس باحتياجها إليه.

وعلى الزوجين أن يعلما أن آخر دواء هو الكىّ، فعليهما ألا يقدما الطلاق بمجرد حدوث خلاف أو شقاق بينهما لقول سيدنا رسول الله ﷺ: **(أَبْغَض الحَلالِ إلى اللهِ الطَّلاق)**[1] فإن أقل ما يقال فيه أنه هدم لبيت إسلامى، وتشريد أطفال بين والدين متباعدين، كما أنه مجلبة للهم والغم والندم.

أما إذا رأى الحكمان استحالة دوام العشرة بينهما فالحل هو إما الطلاق الرجعى حيث يردها الزوج قبل انتهاء عدتها، أو الخلع بأن تفتدى نفسها منه، أو التفريق بينهما بالطلاق طلقة بائنة، وقد شرع الله تعالى تعدد الطلقات ليعطى فرصة للزوجين للقرب مرة أخرى بعد فراق حفاظًا على هذا البيت الذى سيهدم بالطلاق فقال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة:٢٢٩).

(١) سنن أبى داود ٢/ ٢٢٠ ح٢١٨٠، وسنن ابن ماجه ٣/٤٢٦ ح٢٠١٨.

نصيحة للزوجين

وأنصح الزوجين: بألا يسمحا لأقاربهما ولا أصدقائهما بالتدخل فيما بينهما إلا ما يراه كل منهما حكيمًا ذو خبرة بمجريات الأمور، لأن من الأقارب والأصدقاء من قد يقدم العواطف على العقل والروية فيكون سببًا فى هدم البيت.

أيها الزوجين: إن الرباط الذى يربط بينكما هو رباط الحب فعليكما أن تسمعا إلى ما يمليه عليكما قلبيكما وضميريكما حتى تتقاربا ثانية وتعود السعادة إلى البيت الذى هجرتماه.

الفصل العاشر

الطَّلاقُ

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ حِكَمٍ وَأَحْكَامٍ

إن من حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ أن جعل بين الناس اختلافًا وتفاوتًا في التفكير والآراء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ (الحج: ٤٠)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (الرعد: ٣١).

وذلك التفاوت والاختلاف مشهود ومعلوم في جميع جوانب الحياة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، ومن ذلك أننا نجد أنه لا يخلو بيت من المشاكل التي تهب على سماء الحياة الزوجية الصافية كالأعاصير فتكدر صفوها، وتغير ما اعتاد عليه الزوجان من الهدوء والسعادة، والتي قد تكون بسبب الملل من الروتين اليومي، أو بسبب تعارض رغبات كلا الزوجين، أو غير ذلك من الأسباب التي قد تصل إلى مرحلة تتبلد عندها المشاعر فيكون البيت عرضة للخطر، فإذا اعتصم كل من الزوجين بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وتحليا بالحكمة وضبط النفس؛ مرت تلك المشاكل في الغالب بسلام، وعاد البيت إلى هدوئه وسعادته واستقراره، أما إذا لم تمر تلك العاصفة بسلام؛ انتهى الأمر بالطلاق وهي خاتمة يبغضها الله ورسوله، قال ﷺ: (أبْغَض الحَلالِ إلى الله الطَّلاق)[1].

ولقد أباح الإسلام الطلاق حلاً لعقد النكاح حتى لا يكون النكاح عقدًا مؤبدًا يستحيل حله، وذلك تيسير من الله تعالى، لأنه قد يكون الطلاق أمرًا لازمًا لعدم اتفاق كلا الطرفين واستحالة استمرارهما في الحياة معًا، إلا أن لذلك الطلاق قيودًا خاصة وشروطًا محددة حتى لا يكون الطلاق هو الملاذ الأول الذي يفكر الإنسان فيه بمجرد وقوعه في مشكلة مع شريك حياته، قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلاَقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُ

---

(١) سنن أبي داود ٢/٢٢٠ ح٢١٨٠، وسنن ابن ماجه ٣/٤٢٦ ح٢٠١٨.

لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فى أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ
وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فى ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ
إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ
عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ
بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا
آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ
أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ
حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن
ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
* وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَّتَعْتَدُواْ وَمَن
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا
وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ * وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن
يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ
بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ

وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٦ – ٢٣٢).

أنواع الطلاق

الطلاق إما أن يكون بائنًا أو رجعيًّا:

* **فأما الرَّجْعِي:** فهو الذى فيه رجعة وهو لا يرفع عقدة النكاح وإنما ينقص عدد الطلقات، وفيه يحل للزوج أن يجامعها ما دامت فى العدة، فالطلاق الرجعى لا يمنع الاستمتاع بالزوجة إن قصد بذلك مراجعتها فإن جامَعَها أو قبَّلها كان ذلك رجعة عند أكثر الفقهاء، والرجعة حق للرجل مدة العدة لا يجوز للمرأة أن تمنعه إياها لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا﴾.

* **أما الطلاق البائن فهو نوعان:**

١- **بينونة صغرى:** وهى أن تنقضى عدتها من طلاق رجعى، وفيه يجوز للرجل التزوج بمطلقته مرة أخرى بعقد جديد.

٢- **بينونة كبرى:** وهى أن يطلقها ثلاث طلقات، وهو طلاق لا رجعة فيه؛ فيحرم على الرجل الزواج من مطلقته التى طلقها ثلاثًا إلا بعد أن تنكح زوجًا غيره،

ويطلقها الزوج الآخر غير مُكرَه.

شروط الطلاق

١ - **أن يكون الزوج عاقلاً:** فلا يقع طلاق المجنون وكذا المغمى عليه أو من زال عقله بمرض، أما من زال عقله بتناول محرم وهو يعلم أنه يزيل العقل كالمسكرات فيقع طلاقه زجرًا له.

٢ - **أن يكون بالغًا:** فلا يقع طلاق الصغير الذى لم يبلغ.

٣ - **أن يكون مختارًا:** فلا يقع طلاق المُكْرَه على الطلاق إلا إذا نواه، فإن نوى حال إكراهه الطلاق يقع طلاقًا، وعند الحنابلة أنه يشترط فى الإكراه أن يكون بغير حق؛ فإذا أكرهه الحاكم على الطلاق بحق فإنه يقع.

٤ - **أن يكون عقد الزواج صحيحًا:** فلا يقع طلاقه على زوجة بعقد باطل كأن عقد على معتدة أو على أخت امرأته.

٥ - **أن تكون صيغة الطلاق لفظًا يدل على الطلاق صريحًا أو كناية:** فلا يقع الطلاق بالأفعال كأن غضب عليها فأرسلها إلى دار أبيها بدون أن يتلفظ بالطلاق فهذا لا يعتبر طلاقًا.

٦ - **أن يكون لفظ الطلاق مقصودًا:** فإنه إن نطق بلفظ الطلاق خطأ فلا يقع طلاقًا، كأن همّ أن يقول لها: أنت طاهرة؛ فأخطأ قائلاً: أنت طالق.

طلاق الغضبان

الغضب على ثلاثة أقسام:

١ - أن يكون الغضب فى أول أمره بحيث لا يغير عقل الغضبان وهذا طلاقه يقع.

٢ - أن يكون الغضب فى نهايته بحيث يغير عقل صاحبه ويجعله كالمجنون الذى لا يقصد ما يقول وهذا طلاقه لا يقع.

٣ - أن يكون الغضب فى وسطه بحيث لا يجعله كالمجنون بل إنه يقصد ويعلم ما يقوله فهذا يقع طلاقه.

أقسام الطلاق

الطلاق إما أن يكون سُنيًّا أو بِدْعِيًّا:

* **فالسُّنِّيُّ:** كأن يطلقها طلقة واحدة رجعية فى طهر لم يجامعها فيه.

وقول الفقهاء: هذا طلاق سُنِّيّ، ليس معناه أنه مستحب

فعله، ولكنهم يعنون به الطلاق المأذون به شرعًا.

* **البِدْعِيُّ:** كأن يطلقها وهى حائض أو نفساء، أو أن يطلقها ثلاثًا فى لفظ واحد - سواء كان فى طهر أو حيض - أو أن يطلقها فى طهر جامعها فيه.

وفى بيان تحريم طلاق البدعة ما روى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض على عهد سيدنا رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب سيدَنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال ﷺ: (مُرْهُ فليُراجِعْهَا ثم ليُمْسِكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسكَ بعد وإن شاء طلَّقَ قبل أن يمس، فتلك العدة التى أمَرَ اللهُ أن يطلَّقَ لها النساء)(١).

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فغضب ﷺ وقال: (أيُلعَبُ بكتاب الله وأنا بين أظهُرِكم؟!) حتَّى قام رجل وقال: يا رسول الله، ألا أقتله؟(٢).

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الطلاق، باب قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ح٥٢٥١.

(٢) سنن النسائى ٦/٤٥٣ ح٣٤٠١.

عدد الطلقات

قال تعالى: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ فللرجل أن يطلق امرأته ويراجعها، فإذا أحسنت العشرة صافاها، وإذا لم تحسن طلقها الثانية وراجعها، فإذا أثرت فيه وفيها وتصافيا كان بها، وإلا طلقها الثالثة وصارت لا تحل له ولا يحل لها حتى تنكح زوجًا آخر فترى منه ما يجعلها ترغب فى الأول أو تدوم مع الثاني، فإن طلقها الثانى فهى بالخيار فى الزواج من زوجها الأول أو غيره.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: إنه لا بد أن يكون الطلاق الثالث من غير مضرة أو إكراه، بل يدفع لها باقى صداقها ويمنحها نفقتها والمتعة إن كانت لها بإحسان من غير ضرر وعناد، لأن ذلك الإحسان من شأن أهل الإيمان، أما أهل النفاق وأهل النفوس الخبيثة فإنهم ينتقمون من النساء ويؤذونهن وذلك من ضعف الإيمان.

وأما ما يتعلق بنكاح المرأة من رجل آخر - بعد طلاقها من الأول - فى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فالذى عليه الأئمة أن

النكاح هنا هو العقد والجماع، فعن عائشة رضي الله عنها أن رفاعة القرظى طلق امرأته فبتَّ طلاقها، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت للنبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبى الله؛ إنى كنتُ عند رفاعة فطلَّقنى ثلاث تطليقات، فتزوجتُ بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه - والله - ما معه يا رسول الله إلا مثل الهُدْبَة - الهُدْبَة: طرف الثوب، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لها: (أتريدينَ أن ترجعى إلى رفاعة، لا، حتى تذوقِى عُسَيْلَته ويذوق عُسَيْلَتكِ)[1]، - العُسَيْلَة: حلاوة الجماع؛ تشبيه بالعسل للذته -.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾ أى: فإن طلقها الزوج الآخر فلا حرج على الأول ولا عليها أن يتراجعا، لأنها بطلاق الآخر لها بعد النكاح الصحيح جاز للأول أن يتزوجها ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾.

ثم يأمر الله تعالى الرجال أن يعاملوا أزواجهم كما يحبون أن يعاملوا بالرفق والعدالة والرحمة والمساواة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ

---

(١) صحيح البخارى، كتاب الشهادات، باب شهادة المختبى ح٢٦٣٩، وصحيح مسلم ٢٩١/٧ ح٢٥٨٧.

بِمَعْرُوفٍ﴾ أى: ارجعوهن إلى عصمتكم بحالة ترضيهن كما أمركم الله تعالى، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أى: فارقوهن بمعروف بأن تعطوهن ما عليكم من باقى صداقهن ومتعتهن، ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي: لا تحبسوهن مضارة لهن وذلك بتأخير عدة الزوجة أو بتركها كالمعلقة، فإن معاملة النساء بتلك المعاملة دليل على خبث النفس وسوء الطبع كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، وسبب نزول هذه الآية أن رجلاً من الأنصار يدعى ثابت بن بشار طلق امرأته حتى انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة فراجعها ثم طلقها ففعل ذلك بها حتى مضت تسعة أشهر مضارة لها، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾.

وللطلاق أحكام أخرى يمكن الرجوع إليها فى المطولات من الكتب.

وفى النهاية أقول: إنه إذا انتهى الأمر بالطلاق فليحسنا ظنهما بالله، فقد يقيض للرجل امرأة ذات خلق حسن تقر بها عينه، ويرزق المرأة زوجًا يوسع عليها وترى فيه الرقة واللين والعطف والحنان كما قال الله

حقوقها من نفقة العدة أو المتعة أو الحضانة، بل يسارع إلى العمل بقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، ويُعِينُ على ذلك الأهلُ إن كانوا من الذين يتَّقون اللهَ تعالى ويبتغون فضله ويؤثِرون رضاه.

أما إذا غلب جانب الشر عند المطلِّق فإن ذلك قد يدفعه إلى ظلم زوجته وإذلالها، فيتعامل معها بلا خُلق ولا دين، وقد يرفض أن يطلقها، بل قد يتعمد إيقاع الأذى بها لتختلع منه وتتنازل عن الأخضر واليابس وتنجو بنفسها، وقد يفعل ما نهى الله عنه فى قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ (النساء: ١٢٩)، فيجعلها كالمعلَّقة لا هى ذات زوج ولا هى مطلَّقة، وقد روى أن رجلاً يدعى ثابت بن بشار طلق امرأته حتى انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة فراجعها، ثم طلقها، ففعل ذلك بها حتى مضت تسعة أشهر مضارة لها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾.

فعلى الزوج أن يتقى الله تعالى ويقوم بما أمر الله تعالى به فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ

آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣١).

المطلقة تعتد فى بيت الزوجية

وهنا تجدر الإشارة إلى ما بيَّنه أهل العلم من أنه يجب على من طُلِّقت طلاقًا رجعيًّا أن تعتدَّ فى بيت الزوجية، ويحرم عليها الخروج منه أثناء العِدَّة إلا لضرورة، ولا يجوز للرجل إخراجها من بيته وهى فى عدتها إلا إن أتت بفاحشة مبينة، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِى إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ (الطلاق: ١)، والفاحشة المبيِّنة معناها الإيذاء الشديد؛ فإن صدر من الزوجة فى حال عدتها إيذاء شديد للزوج أو لجيرانه وأقاربه بلسانها أو بيدها؛ جاز له حينئذ أن يخرجها من بيته اتقاء لشرِّها لتكمل عدتها فى بيت أبيها لتأمن فيه على نفسها وعِرضها؛ فلا ضرر ولا ضرار.

وكذلك المتوفَّى عنها زوجها يجب عليها أن تعتدَّ فى بيت زوجها فلا تخرج منه إلا بعد انقضاء عدتها إلا

لحاجة.

وفى نهى القرآن الكريم الرجال عن إخراج المعتـدَّات من بيوت الزوجية ونهيه إياهن عن الخروج تكريم لهـن، وصيانة لأعراضهن، وإظهـار لهـن بمظهـر الوفـاء لأزواجهن.

فإن كانت معتدة من طلاق رجعى فإن عدم خروجهـا من بيت الزوجية عقب طلاقها يدل على تـشبثها ببيتهـا وتمسكها بزوجها، وكان ذلك أدعى لمرضاته وحَمْله على مراجعتها، فقد يرى منها وهو فى بيته ما يـسره، وقـد يعاتبها أو تعاتبه فيعتذر لها أو تعتذر له، فيحـل الوفـاق محل الشقاق، قال تعالى: ﴿لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ (الطلاق: ١) ومن معانى الأمر الذى قد يحدثـه الله ﷻ: الوفاق والرجعة.

بيَّنا ذلك لأن الكثير من الناس الآن يفعلـون عكسـه؛ حيث تنتقل المرأة إلى بيـت أهلهـا بمجـرد أن يطلقهـا زوجها، مما قد يوسع الفجوة بين الطرفين، ويقلل فـرص التصالح بينهما.

أما إن كانت المرأة معتدة من وفاة زوجها كان مكثهـا فى بيت الزوجية أقل ما تستطيع تقديمه تعبيرًا عن وفائها

لزوجها الراحل عنها.

النفقة للمعتدة

قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطـلاق: ٦)، والمعنى: أسكنوا المطلَّقات من نسائكم فى أثنـاء عـدتهن مثل سكناكم على قدر سَعَتكم وطاقتكم، ولا تلحقـوا بهـن ضررًا؛ لتضيِّقوا عليهن فى المسكن، وإن كـان نـساؤكم المطلقات ذوات حَمْل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حَمْلهن.

والنفقة بجميع أنواعها للزوجة أو المطلقة والـصغار تقدّر طبقًا للدخل الشهرى أو السنوى للزوج أو المطلِّـق، يضاف إليها مصروفات تعليم الصغار، ومستوى التعلـيم طبقًا لقدرة الأب وأن يكون مناسبًا.

مسكن الزوجية لمن؟

أما بالنسبة لمسكن الزوجية فهذا موضوع يحتاج إلـى التروى والنظر إلى الطرفين بعـين الرأفـة والرحمـة، والسؤال الذى يطرح نفسه: لمن الحق فى ذلك المـسكن؟

للمطلِّق أم للمطلَّقة؟.

بداية أقول: لنفترض أن شابًّا جاهد وعمل لكى يجمع مالاً لشراء مسكن للزوجية، وأملُه أن يتزوج فتاةً نشأت وتربت فى منبت حسن، وبعد مشقة ومجاهدة اشترى سكنًا أو أعطاه والده بيتًا فتوفر بيت الزوجية المأمول، ثم توجه الشاب لخطبة فتاة أعجبته، فأثقله أهلها وتمادت أمُّها – صاحبةُ الكلمة كما هى العادة فى الكثير من البيوت – وفرضت عليه شبكة بعشرين ألفًا من الجنيهات، ومهرًا فوق ذلك، وشقة مملوكة فى منطقة متميزة واسعة المساحة غالية الثمن تليق بابنتها على حد قولها، مجهزة ليس بالضروريات فقط بل بأرقى الكماليات وأغلاها، علاوة على الأجهزة الكهربائية بأنواعها والنجف والستائر وأدوات المطبخ الثمينة وغير ذلك، واشترطت عليه مؤخَّرًا كبيرًا يُدوَّن فى قسيمة الزواج، وأن يكون الاحتفال بالزفاف فى قاعة راقية غالية الثمن، وقد تختم الأم كلامها بأنها متواضعة فى تلك الطلبات بالنسبة لغيرها، وأن الأهم – على حد زعمها – أنها ربحت رجلاً زوجًا لابنتها!.

ولنفترض أن ذلك توفر وتحقق وتزوج ذلك الشاب بتلك الفتاة، ثم لم يوفقا فى حياتهما الزوجية وقرر الزوج

الطلاق لاستحالة العشرة بينه وبين زوجته التى تؤذيه وتخالفه فيما لا يجوز أن تخالفه فيه، وتحزنه حاضرًا وتفرط فى حقه غائبًا، وتسىء عشرته، ولا تستجيب لوعظ ولا إرشاد، فإننا قد نجد القانون يطالب الزوج المطلِّق أن يترك بيت الزوجية الذى أفنى عمره فى تكوينه لمطلَّقته لأنها حاضنة، ويخرج الزوج صفر اليدين مفلسًا قد لا يجد مأوى يؤويه.

وقانون يحكم على الناس بذلك إنما يدفع أمثال هذا الزوج المطلِّق إلى احتمالات قاسية؛ إما أن يضطر إلى العيش مع امرأته مع أنها لا تصلح للعيش معه، أو أن يطلقها وتجنى الزوجة ثمرة تحويل الزواج إلى صفقة تجارية مادية خسر فيها الزوج كل ما فى يده، وقد يسلك ذلك الزوج طريق الجريمة والسرقة، وينقاد لغرائزه وشهواته ولا يبالى حلالاً كان ذلك أم حرامًا، فأنَّى له أن يعيد الكَرَّةَ من جديد لبناء بيت زوجية آخَر؛ ربما صار كالبيت الأول أو أشر وأضر.

أظن أن بيت الأب أولى بأمثال تلك المطلَّقة، فلعله يعيد تربيتها من جديد، ويعلمها خلق الدين وآدابه، ويلقنها فكرًا تستطيع به أن تتعايش مع زوجها وشريك حياتها،

حتى لا تتكرر المأساة مرة أخرى مع زوج آخر .

ومن جانب آخر فإننا يجب أن نراعى ظروف مطلَّقات قضين سنوات يسهمن فى تأسيس بيت الزوجية قد يصبحن فى نهاية المطاف بلا مكان، وتتفاقم المعاناة عندما تكون المرأة غير عاملة ولا تجد من يعولها.

فعلى الزوج المطلِّق أن يهيىء لصغاره من مطلقته ولحاضنتهم المسكن المستقل المناسب لهم ولظروفه فى حالة عدم توافر بيت يأوى هذه المطلقة وصغارها .

العمل بمحاسن الأخلاق ومكارمها

إن علينا أن نلجأ إلى المولى عَزَّ وَجَلَّ ونتأسى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم كى ننجو يوم الدين، والله سبحانه وتعالى يحب أن نتعامل فى إطار محاسن الأخلاق ومكارمها، فعلى الزوجين مراعاة العمل بقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

فعلى الزوجين أن يتَّقيا ربهما، وأن يقدرا تلك الحياة الزوجية قدرها، ولننتبه جميعًا؛ فكما تدين تدان، والسعادة فى طاعة الله تعالى والذل فى معصيته سبحانه.

وعلى الأهل دور مهم فى المساعدة على تخطى هذه العقبة (الطلاق) بالمعروف امتثالاً لأمر الله تعالى، وأن

يتناسوا النزاعات الشخصية التى قد تكون بينهم، ويجب أن يتبادلوا الاحترام والتقدير بدلاً من إثارة مشاعر العداء وبذر بذور الخلاف، وأن يلزموا المطلق والمطلقة الاحترام وتجنب الخطأ حتى تحل مشكلة الطلاق بالطريقة السليمة التى ترضى الله ورسوله، وترضى الأطراف المتضررة من ذلك بما لا يخالف شرع الله.

أثر الطلاق على الزوجين والأولاد

فى الماضى كان الطلاق غالبًا ما يمثل وصمة عار على المرأة المطلَّقة وعلى أسرتها، وكانت تحركات المرأة المطلَّقة محسوبة عليها عند الخروج من بيت أسرتها، وخروجُها كان محدودًا وللضرورة فقط، وكانت نسبة الطلاق قليلة، أما فى هذا العصر فإن الطلاق بدا وكأنه ظاهرة طبيعية، فلا يخلو حى أو منطقة من حالات طلاق أو هدم أسرة.

فإلى أى مدى سيظل هذا الوضع مستمرًّا فى تدمير الأسر المسلمة؟ ومن هو السبب فى الطلاق؟ أهو الزوج أم الزوجة؟ أم أن هناك عوامل خارجية تؤدى إلى ذلك؟ ومن هو المجنى عليه؟ وهل من الممكن علاج هذه الظاهرة أم لا؟ وهل من سبيلٍ لتلافى التأثير السلبى

للطلاق على الأبناء؟.

المرأة المطلقة
بين التحدى واليأس

إن المرأة فى مجتمعاتنا يقع عليها العبء الأكبر فى ظاهرة الطلاق تلك، فالسبب الأول فى معظم حالات الطلاق يرجع إلى المرأة نفسها لعدم معرفتها معنى الحياة الزوجية، ولتقصيرها فى القيام بالكثير من مسئولياتها، وقلة إلمامها وفهمها للعديد من واجباتها؛ كاحترامها لزوجها وطاعته والتودد لأهله وحسن معاملتهم، والقناعة والرضا.

وأمثال تلك المرأة بعد طلاقها تفكر كيف تنتقم من مطلِّقها، فتدخل فى مرحلة صراع معلنةً الحرب عليه والتشهير به والإساءة إليه، وتستخدم أبناءهما كأسلحة للانتقام منه وإذلاله، وقد تمنعه من رؤية أبنائه أو تضيِّق عليه مستغلة فى ذلك حضانتها لهم، وقد يطرق المطلِّق باب أهلها ليتفاهم معهم بالحسنى ليتمكن من رؤية أبنائه؛ لكن الأهل غالبًا ما ينحازون لها ويتبنَّوْن موقفها، ويكونون جبهة معها ضد مطلِّقها.

وقد تفشل المساعى المبذولة لحل تلك المشكلة، مما يضطر المطلِّق إلى اللجوء إلى القضاء للحصول على حقه فى رؤية أبنائه ورعايتهم وتمكينه من متابعة حالهم والمشاركة فى تربيتهم ولو بالنصح والإرشاد والتوجيه، فيصدر حكم القاضى بأن يرى الأبُ أبناءَه أربعة أيام فى الشهر بواقع ثلاث ساعات فى الأسبوع، وتحدد المحكمة مكانًا معينًا للقاء مما يجعل الأبناء يكرهون هذا المكان؛ كما يكرهون الأبوين أيضًا لارتباطهم بهذا المكان، وإذا رآهم الأب مصادفة فى مكان آخر فلا يحق له قانونًا أن يحتك بهم لا بالحوار ولا حتى بالسلام، فيتحسر الأب على أبنائه، وبذلك تكون المطلقة قد منعته بالقانون من حقوقه كأب لهم، كما يُحرم أبواه وأهله من رؤية أحفادهم، ويُحرم الأولاد من الصلة بذويهم وذوى قرباهم، فتنقطع صلة الأرحام بين هؤلاء جميعًا، وذلك مما لا يحبه الله تعالى حيث صرح فى كتابه الكريم أنه من صفات المُعرضين عن كتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ فى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: ٢٢).

ويترتب على ذلك حزن المطلِّق وأهله بسبب خسارة

الأبناء، وفى المقابل تعم الفرحة والشماتة عند المطلَّقة وأهلها بانتصارهم ونجاحهم فى إذلال المطلِّق بأبنائه، وهذا أدنى مِن مَنطِق الوحوش فى الغابات، لكنه الهوى البغيض، وحب الأثرة والانتقام، والاستهانة بتقوى الله تعالى الذى قال فى كتابه الكريم: ﴿وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

وبعد ذلك قد يتصاعد الصراع بين الجانبين، وقد يلجأ المطلِّق بمساعدة أهله إلى أساليب كى يذل هو الآخر مطلقته؛ وبنفس السلاح ألا وهو الأبناء، فيلجأ إلى محامٍ ماكرٍ يتحايل على القانون - كما صنعت المطلَّقة - فيماطل فى دفع نفقة الأطفال، أو يقبض يده فى الإنفاق عليهم إلى الحد الأدنى أو أقل فيتعرضون جميعًا للإذلال والحاجة أو الفاقة، فتلجأ المطلَّقة إلى المحاكم لكى ترد الكيد بالكيد، فيطالبه القاضى بالنفقة، ولكن المطلق يماطل فيها فلا يجد القاضى قانونا يلزم به المطلِّق بدفع النفقة فى موعدها المحدد ، فتتحسر المطلقة على ما حلَّ بها من البلاء؛ وتحس بالذل والإهانة والانكسار.

وقد تضطر إلى البحث عن عمل لتوفير ما يكفيها

ويكفى أبناءها، وغالبًا لا تجد عملاً مناسبًا، فتحس بالخيبة ويعلوها الحزن والاكتئاب، وعندها تدرك أنها كانت فى عيشة هنيئة، مرتاحة البال فى بيت زوجها، لا تشعر بما يعانيه الرجل ليوفر لهم حياة كريمة طيبة، ولكنها بطرت معيشتها، واستهانت ببيتها، وأساءت إلى زوجها وأولادها وأهلها، بل وإلى نفسها، فآل أمرها إلى ما آل إليه.

وبعد أن يتحقق للرجل إذلال زوجته؛ قد يتزوج بأخرى مما يُنزل بالمطلَّقة ضربة قاضية لأملٍ - قد يكون يراودها - بالرجوع والإصلاح فيما بينها وبينه، عند ذلك تشعر المطلَّقة باليأس والهزيمة، وتشعر بخطئها فى حق زوجها ونفسها وأولادها، فتندم فى وقت لا ينفع فيه الندم.

وتزداد هموم المطلَّقة إذا استحالت عليها أو تضاءلت فرصة الزواج بغيره، فنحن فى زمان يعسر فيه زواج فتيات جميلات على خُلق ودِين، فكيف بمطلَّقة أساءت عشرةً، وهدَمت بيتًا، وأضرتِ نفسَها وغيرَها، وترعى أولادًا، وقد ولَّت - غالبًا - زهرة نضارتها، وعزفت النفوس عنها أو انعدمت الرغبة فى الزواج بها؟!.

وحتى لو وجدت المرأة مَن تغافل عن تلك المحظورات، وتجاوز تلك العقبات؛ فتزوجت ممن

نطرته ظروفه إلى القبول بها؛ فكيف سيتعامل هذا زوج الجديد مع أبنائها من زوجها الأول فى زمن قد ضرر فيه البعض من مسئوليتهم عن أبنائهم من صلابهم؛ ويقصرون فى حقهم ويسيئون معاملتهم؟!.

وقد تزداد حالة المرأة سوءًا إذا سمعت أن مطلّقها عيد مع زوجته الجديدة، أو أنه رُزِق بأبناء منها، وأصبح ناء المطلّقة بعيدين عن أبيهم، لا صلة بينهم وبينه إلا ال القليل الذى يصلهم كل حين بعسر أو بيسر، بعد أن نغل الأب بحياته الخاصة وأسرته الجديدة.

وقد تزداد التعقيدات النفسية فيما بين المطلّقيْن، ويكبر أبناء الذين استطاعت الأم أن تبذر بذور الجفوة لقطيعة بينهم وبين أبيهم؛ فيرفض الأب مشاركتهم فيما تاجون إليه فيه، بل قد يمتنع عن الذهاب معهم للتقدم طبة أو عقد قران أو زفاف أحدهم ذكرًا كان أو أنثى، ذلك من مخلفات الحرب اللا أخلاقية التى دارت بين ن كانا فى يوم من الأيام زوجين يجمعهما سقف واحد، أكلان فى إناء واحد، ولكن قاتلَ اللهُ الهوَى أخا العمَى.

نصيحة إلى الأخت المطلقة

أيتها الأخت المطلّقة: إن سعادتك وسعادة أبنائك

هى ثمن صنُعكِ ببيت الزوجية، فماذا لو كان هناك مبادرة حسنة بينك وبين مطلِّقك، عسى أن يفكر فى الرجوع إليك مرة أخرى على أسس صحيحة بما لا يخالف الشريعة، أليس ذلك أنفع لك وأجدى وأفضل مما يمكن أن تئول إليه الأمور؟.

أيتها الأخت المطلّقة: اعلمى أن نشر أسرار الحياة الزوجية بعد الطلاق وسبَّك لمطلقِك والتشنيع عليه والإساءة إليه يجعلك غير جديرة بالزواج بعد ذلك من غيره، لأن كلامك هذا يدل على أنكِ لَسْتِ أهلاً أن تكونى زوجة صالحة تصون الأسرار، وتكف لسانها عن ذكر المساوئ، وإذا تقدم إليك رجل آخر للزواج وبلغه ما بدر منك تجاه زوجك الأول فإنه يخشى أن يأتمنك على نفسه، فعليك أن تقولى خيرًا من ذلك كأن تقولي: لَمْ يَكتب اللهُ لى معه نصيبًا.

يروى عن أحد الصالحين أنه طلق زوجته فقال لها: اسمعى، وليسمع مَن حضر؛ إنى والله اعتمدتُك رغبة، وعاشرتُك بمحبة، ولم أجد منك زلة، ولكن القضاء كان غالبًا، فقالت المرأة: جُزيت من صاحب ومصحوب خيرًا، فما استقللتُ خيرك، ولا شكوتُ ضيرك، ولا تمنيتُ

رك، ولا أجدُ لك من الرجال شبيهًا، وليس لقضاء الله فع، ولا من حكمه علينا ممنع.

فلا تحسبى أيتها الأخت المطلَّقة أن الطلاق أنهى لاقة الحوار بينك وبين مطلِّقك، فإن لكما أبناء، وكلاكما يه التزامات ومسئوليات للآخر لصالح أبنائكما، فعليكما تتجاوزا الأحقاد والضغائن والعناد المتبادل بينكما، لالتفات إلى المشاركة فى المسئوليات بدلاً من المحاربة فسية المستمرة أفضل وأوفر بكثير من التفكير فى عال الحروب المتبادلة بين الطرفين؛ والتى يكون حيتها فى النهاية الأبناء بسوء التربية؛ والبغض الذى مو فى قلوبهم لكلا الأبوين حيث يرون أنهما السبب فى هم فيه.

أيتها الأخت المطلَّقة: لا تحسبى أن الطلاق جزء من حرية تفعلين ما تشائين، فإنك بعد طلاقك ستظلين تحت مراقبة الدقيقة من أبويك ومن المجتمع فى حركاتك تصرفاتك ودخولك وخروجك من البيت، وقد تفاجَئين جارتك أو صديقتك - وأحيانًا أختك - يتحاشينك خوفًا نك أن تسرقى منهن أزواجهن!.

إن الذى قد يدفع الزوجين إلى هذا الأمر الخطير -

وهو الطلاق - افتقار كل منهما للعلاقة الرومانسية التى تربط كليهما بالآخر؛ ألا وهو الحب، فلا بد من التلفظ بكلمة الحب والود والاحترام من كليكما للآخر، بدلاً من لغة العدوانية والشراسة والعنف والحدة فى الحوار الذى يؤدى فى النهاية إلى عدم التفاهم بينكما، فلابد من إيجاد لغة للحوار لكى تستمر الحياة بينكما، وتعالجا أموركما بالحكمة، وعليكما بضبط النفس وضبط الانفعال، والتعبير عن المشاعر لفظيًّا وبَدنيًّا بالكلمة الحلوة الطيبة، والضمة الحانية، ونظرة الإعجاب، واللمسة الرقيقة، والهدية الغير متوقعة، وكلاكما مطالَبان بذلك، وليس أحدكما دون الآخر.

وعليك أيتها الزوجة أن تعلمى أن عليك العبء الأكبر فى التصالح بينك وبين زوجك، لأنك تتمتعين بمهارات خاصة دون الرجل.

نصيحة للزوج

أما أنت أيها الزوج: فعليك أن تتجمل لزوجتك لكى ترى منك كل ما تتمناه فى فارس أحلامها، وأن تتحمل منها ما استطعتَ كى تصلا بأسرتكما إلى بر الأمان، وإن كنتُ قد ركزتُ فى حديثى على الزوجة فذلك لأنه حديث

ونصيحة موجَّهان إليها، وأخصها بهما، وليس معنى ذلك أنك أيها الزوج معفى من التبعات، أو مبرأ من العيوب والنقائص، بل إنك الممسك بدفة سفينة تلك الحياة الزوجية وربانها، والمأمول منك أن تقوم بدورك وتتقى الله فى نفسك وزوجك وولدك، عسى الله أن يخرج منكما الكثير الطيب، ويكون أولادكما صالحين يدعون لكما، بدلاً من الدعاء عليكما، نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة.

الطلاق يسعد إبليس

إن التفريق بين الرجل وأهله يسرُّ إبليسَ لعنه الله عليه، فقد ورد أنه يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلةً أعظمُهم فتنةً، يجيءُ أحدُهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئًا، ويجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرقتُ بينه وبين أهلِه، فيدنيه منه ويقولُ: نعم أنت.

ويوسوس هو وجنودُه بعد ذلك بألوان أخرى من الإفساد والإغواء، حيث يجد مرتعًا خصبًا بسبب ما يصيب الأسر المتفككة وما يرنه أجيالها من الإصابة بالعقد النفسية والمشاكل العصبية، وقد تستمر هذه العقد والمشاكل إلى سن الشباب ومرحلة تكوين الأسرة، حيث تشتد معاناة هؤلاء الذين حرموا من الدفء الأُسريّ،

وعانوا من عدم الاستقرار وفقد الشعور بالأمان.

ومن أبرز الآثار الناجمة عن الطلاق بالنسبة للأولاد ضعف الإشراف والتوجيه التربوى أو انعدامه، فقد ينفرد أحد الأبوين بتربية الأولاد، وقد يتزوج الأب بامرأة أخرى، أو تتزوج الأم برجل آخر، وقد يعيش الأولاد مع الأب أو الأم؛ مما ينتج عنه العديد من ألوان المعاناة البدنية والنفسية.

وقد نُشر عن إحدى المؤسسات البريطانية أنها أجرت دراسة لآثار الطلاق على نشأة ونمو الأبناء، وكان من نتائج تلك الدراسة أن الأطفال الذين ينتمون إلى آباء مطلقين يكونون فى الغالب بحاجة إلى مساعدة نفسية، وأن هؤلاء الأبناء أكثر عرضة للإصابة بأمراض نفسية وجسمية – ولكن أسبابها نفسية فى المقام الأول – إضافة إلى أنهم قد يحتاجون إلى نفقات إضافية، علاوة على أن الأطفال الذين يعيشون مع أطراف أخرى غير والديهم يكون أداؤهم فى المدرسة أقل مقارنة بغيرهم.

من آثار الطلاق على الأبناء

وللطلاق آثار عديدة على الأبناء نذكر منها ما يلي:

١- عدم الشعور بالأمن، فقد تواجه الولد مشكلة فلا

يستطيع حلها، ولا يجد من يلجأ إليه للمساعدة فى حلهـــا، فالقدوة غير موجودة، والمثل الأعلى أمام ناظرى الطفـــل - الذى يتمثل فى الأبوين - شبه مفقود.

٢- غالــبًا مـــا تكون المـــوارد الاقتصادية المتاحــة للأولاد فى حالة الطلاق غير كافية، وذلك قد يؤدى بهــم إلى الانحراف مع رفقاء السوء وممارسة السرقة أو بعض الأعمال المحرمة فى سبيل الحصول على المال.

٣- فى العديد من الحالات ينتقل الطفــل مــن مقــر الأسرة المتفككة ليعيش مع أبيه الذى تزوج بامرأة أخرى، أو مع أمه التى تزوجت برجــل آخــر، فيواجـــه بــذلك صعوبات كبيرة فى التكيف مع زوجة الأب أو زوج الأم، وقد يقوم الطفل بعقد مقارنات بين حياته الأسرية الــسابقة والجديدة، مما يجعله فى حالة اضطراب نفسى مــستمر، حيث يجد نفسه فى بيئة منزلية جديدة مختلفة عن سابقتها اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًــا، ممـــا يــصيب شخــصيته بالاضطراب وعدم الاستقرار.

٤- يتحمل الطفل - كالوالدين - عبء التفكير الــدائم فى مشكلة الانفصال، وقد يعانى بعض الأطفال من اعتقاد أن تبعة الطلاق تقع على عاتقهم، أو أنهم من أسبابه.

٥- يرى الطفل فرقًا كبيرًا بين حياته بعد أن تفككــت أسرته؛ والحياة الأسرية التى يحياها باقى الأطفــال فــى أُسرهم المستقرة، مما قد يولد لديه شعورًا بالإحبــاط، أو يجعله ناقمًا على أحد والديه أو كليهما، أو يكسبه اتجاهًــا عدوانيًّا تجاه الجميع.

٦- الطفل غالبًا ما يصعب عليــه اسـتيعاب وتفهــم الأسباب الكامنة وراء الصــراع بين الوالــدين، أو علــة استخدام ذلك الصراع - مِن قِبَل والديه - فــى محاولــة تشويه أحدهما لصورة الآخر، وقــد يــؤدى ذلــك إلــى اضطرابات نفسية وعقلية، فيبرز الطفل للمجتمع شخصية مضطربة، يعود أثرها السلبى على المجتمع كله.

من أهم ما يطالب به الوالدان
تجاه أبنائهما بعد الطلاق

١- أن يذكر الأبوان لأبنائهما أن الحياة بين الوالــدين قد وصلت إلى درجة الاستحالة، وحينئذ فإن الاســتمرار فى الحياة الزوجية له خطورته التى تفوق ضرر الطــلاق وسلبياته، ويُبيِّن الوالدان ذلك للأطفال بحسب سنهم، مــع الإمساك عن ذكر العيوب والنقائص لأى منهمــا، فلــيس

معنى أن يبرئ أحدُهما نفسَه أن يلصق التهم بالآخر حقًّا كان أو باطلاً.

٢- إفهام الأطفال أنه قد يكون الأب صالحًا والأم فاضلة، لكن عدم توافق الطباع فيما بينهما - بما لا يمكن تجاوزه - قد أدى إلى الانفصال.

٣ - أن يمسك كل من الأبوين عن تشويه صورة الآخر أمام أبنائه حتى لا تسقط هيبتهما فى أعين أبنائهما، ويكون لهما من الإكبار فى عيون الأبناء ما يجعلهما محل احترامهم وتقديرهم والاعتزاز بالانتماء إليهم، ولا يجوز للأم أن تسمح لأولادها بالإساءة بأى لفظ إلى أبيهم، كما لا يجوز للأب أن يفعل مثل ذلك، بل يجب الحرص الشديد على تحسين صورة كل من الأبوين للآخر فى عيون أولادهما بقدر الاستطاعة، وقد يكون الحديث الطيب من كلا الأبوين عن الآخر سببًا فى أن تعود المياه إلى مجاريها، ويصلح الله تعالى بفضله ما فسد، ويعود التئام الأسرة من جديد، وتحل البسمة والفرحة محل الكآبة والحزن، قال الله تعالى: ﴿لا تَدْرِى لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: ١).

٤- بذل أقصى الجهد لحل جميع الأمور المعلقة بين

الأبوين بالأساليب الودية، وأن يتجمل الأبوان فيما بينهما بمعنى قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

٥- إفهام الأولاد أن الطلاق لا يقلل من حب الأبوين لأبنائهما، ومع اهتمام الأبوين بمشاركة أولادهم فى أفراحهم وأحزانهم، وأن يكونا لهم سندًا فى حياتهم، ومرجعًا لمشاورتهم، مع مراعاة شئونهم، ومتابعة أحوالهم، وبذل أقصى الجهد فى حسن تربيتهم وتوجيههم، وتلقينهم محاسن المعاملات وفضائل الأخلاق.

٦- امتناع الأبوين عن ترديد كلمات توحى بأن الأبناء ضحايا قد فقدوا الاستقرار وتردَّت بهم الأحوال، فأى خير يرجَى من أبناء نشأوا على اعتقاد أنهم ضحايا ومساكين؟!، وبدلاً من ذلك يجب السعى إلى إفهامهم أنهم ليسوا أقل من غيرهم، وأنهم أفضل حالاً ممن مات أبوه أو ماتت أمه أو مات كلاهما، وأن الطلاق أمر مشروع من الخالق سبحانه إذا استحالت العشرة بين الزوجين، وأن هذا الطلاق أفضل للأبناء من العيش فى بيت تعصف به الخلافات، وتكدره النزاعات، وتسوده صراعات بين زوجين هما أقرب إلى العداوة منهما إلى المودة والرحمة.

فإذا أحس الأبناء أن الطلاق قد عاد عليهم ببعض الفائدة؛ فإن ذلك قد يعينهم على تحمل نتائجه، ويقلل ضررهم منه، وتخف عنهم وطأة آثاره السلبية.

٧- لا يجوز للأب أن يحرم الأم من رؤية أبنائها والاطمئنان عليهم، ولا يجوز للأم أن تعوق لقاء الأبناء بأبيهم، وليراقب الأبوان أبناءهم، ويلاحظا أحوالهم، فإن بعض الأطفال يشعرون أن طلاق الأبوين قد خفف عنهما عبء المراقبة وقيد المحاسبة، وهؤلاء يجب المحافظة عليهم من مسالك الاعوجاج ورفقاء السوء.

٨- يحسن بالأم أن ترى عطاءَها لأولادها وحسنَ رعايتها لهم والاعتناء بهم هو من الواجب عليها، وأنه جزء من وظيفتها، وقيامًا برسالتها في الحياة، وليس ليتحدث الناس عن عنايتها بهم أو أنها أحرص عليهم من أبيهم، ويُجمُل بها أن تحاول تعويض تقصير الأب مع أبنائه إذا كان سلبيًّا أو ضعيف العلاقة بهم، وأن تتحدث معهم في أمورهم، وتراقب شأنهم، وتحذرهم من السلوك الخاطئ، وتعلمهم النظافة الشخصية، وترشدهم، وتلقنهم ما لا غنى لهم عنه.

٩- ومن المهم الحرص - بقدر الاستطاعة - على

عدم الإخلال بما تعوَّد عليه الأبناء؛ كتغيير مكان حضانتهم، أو المدرسة التي اعتادوا عليها، ففيها مدرسوهم الذين ألِفُوهم، وزملاؤهم وأصدقاؤهم الذين أنِسُوا بهم، فالإخلال بذلك قد يضيف عبئًا جديدًا إلى عبء تفكك الأسرة مما يزيد عندهم الكآبة والتعقيد، ولا مانع من السعي إلى شغل أوقاتهم بما يفيد كممارسة الرياضة البدنية بالمشاركة مع غيرهم، بدلاً من قضاء تلك الأوقات في الحزن والانطواء.

وليقم كل من الأبوين بدوره بهدوء وحلم وأناة، فكل منهما راع ومسئول عن رعيته، يقول سيدنا رسولُ الله ﷺ: (... والرجلُ راعٍ فِي أهلِه ومسئولٌ عن رعيَّتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِهَا ومسئولةٌ عن رعيَّتِهَا)[١].

الأبناء والزواج الثاني

يحسُنُ بالمطلقة أن تنظر إلى أولادها على أنهم مِن نِعم الله تعالى، وأن الله أفاض عليها من زينة الحياة الدنيا المذكورة في قوله سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ح٨٩٣.

لدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، ولا تنظر إليهم بمنظور سلبى كأن تراهم عقبة أمام فرصة زواجها مرة أخرى، ولتحمد الله تعالى، فهناك كثير من المطلقات بلا أبناء ولم يتزوجن ثانية، وهناك كثير من الفتيات لم يتزوجن، وهناك مطلّقات بدون أبناء تزوجن ويخدمن أولادًا لأزواجهن من زوجات أخريات، راضيات بذلك، حامدات شاكرات لله تعالى.

وأولادُك – أيتها الأخت المطلقة – ليسوا مسئولين عن عدم زواجك مرة أخرى، وهم قبل ذلك لم يفرضوا عليك الزواج من أبيهم، وليسوا مسئولين عما جرى بينك وبينه، والأولى لك الاهتمام بتربيتهم وحسن رعايتهم، ولا تَمُنِّى عليهم بذلك، بل احتسبيه لوجه الله تعالى، عسى اللهُ أن يجعلهم قرة عين لك، ويرزقك بِرَّهم، وينفعك بهم فى الدنيا والآخرة.

وإن قدَّر اللهُ تعالى لك أن تتزوجى من جديد؛ فاحرصى فى تلك الزيجة الجديدة على محاولة التوفيق بين دَوْرك كزوجة؛ وبين القيام بوظائف الأمومة لأولادك من زوجك الأول قدر الطاقة والاستطاعة، وتوَجَّهِى إلى الله تعالى بالدعاء بالتوفيق، فكم من زوجِ أُمٍّ هو بمثابة

الأب لأولادها من غيره، وكم من زوجةِ أبٍ هى كالأم بالنسبة لأولاده من غيرها.

هذا ما أرجوه وأنبه إليه، وأسأل الله سبحانه أن يحققه إصلاحًا للبال والعيال، وراحة للنفوس، ومداواة للجراح، وتطييبًا للقلوب، وتعويضًا عما سلف يا رب العالمين.

الخاتمة

من حسن معاملة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وجميل خُلقه مع زوجاته

بعد الذى سبق بيانه فيما يتعلق بالأسرة المسلمة، وما يجب أن تكون عليه؛ بقى أن نتعرض بفضل الله تعالى لبيان شيء من حسن معاملة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وجميل خُلقه مع زوجاته، وهو الذى رفع الله تعالى ذكره، وجعله أوْلَى بنا من أنفسنا وأزواجه أمهاتنا بنص قوله تعالى: ﴿النَّبِى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، وهو صلى الله عليه وآله وسلم فى مقام الوالد للمسلمين جميعًا بنص قوله: (إنَّمَا أنَا لَكُمْ كَالْوَالِدِ لولده)[1]، وهو الحريص علينا، الرءوف الرحيم بنا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وهو صلى الله عليه وآله وسلم أسوتنا العظمى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

---

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٥١٢/٩ ح٢٧٢٠٨، وجامع الأحاديث للسيوطى ١٧٧/٣٩ ح٤٢٢٩٣.

رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

ونحن كمسلمين مطالبون بأن نثبت أننا جديرون بانتسابنا إليه صلى الله عليه وآله وسلم، وأن نقدم دليلاً على محبتنا لله تعالى بحسن اتباعنا له صلوات الله وسلامه عليه، سر قوله جل شأنه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

ونعرض هنا لشيء من حسن معاملته وجميل أخلاقه مع زوجاته، ليكون ذلك مدعاة إلى حسن التشبه به صلى الله عليه وآله وسلم، وليصلح الله تعالى بذلك نفوسَنا وأُسَرَنا وبيوتَنا ومجتمعاتنا، وتشيع بيننا معانى المودة والرحمة.

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم

أوصانا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالأهل خيرًا، وسبقنا هو بذلك الخير كما صرح بقوله: (خَيْرُكم خَيْرُكم لأهْلِه، وأنا خَيْرُكُم لأهْلِى)[1]، وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُق سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: (كَانَ كالرَّجُلِ من رجالكم، إلا أنه كان أكرمَ الناسِ، وأحسنَ الناسِ، وألينَ الناسِ فى

---

(١) سنن الترمذى ٧٠٩/٥ ح٣٨٩٥، وسنن ابن ماجه ٣٩٦/٣ ح١٩٧٧.

قومهم، وأكرمهم، ضحّاكًا بسّامًا)[1].

وكان ﷺ يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم، وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله ﷺ يعمل فى بيته؟ قالت: (كَانَ بَشَرًا مِن البَشَرِ، يَفلى ثوبه، ويَحلبُ شاتَه، ويَخدمُ نفسَه)[2]، وسئلت ؓ: ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: (كانَ فِي مِهْنَةِ أهْلِه)[3].

من رفقه ﷺ بزوجاته

أورد الإمام المجدد أبو العزائم ؓ فى كتابه: (الإسلام دين الله) أن أزواج النبى ﷺ كُنَّ يراجعنه القول، وتهجره إحداهن يومًا إلى الليل، ودفعت إحداهن فى صدره فزجرتها أمها، فقال: (دَعِيهَا فإنهنّ يصنعنَ

(١) كنز العمال للمتقى الهندى ٧/٢٢٢ ح١٨٧١٩، وجامع الأحاديث للسيوطى ٤٠/١٠٥ ح٤٣٢٢١.

(٢) مسند أحمد ٤٣/٢٦٣ ح٢٦١٩٤، وصحيح ابن حبان ١٢/٤٨٨ ح٥٦٧٥..

(٣) صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل فى أهله ح٦٠٣٩.

أكثرَ مِنْ هَذَا)[1].

وجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين عائشة رضي الله عنها كلام، حتى أدخل أبا بكر ؓ بينهما حكمًا واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ: (تكلّمينَ أو أتكلّمُ؟) قالت: بل تكلّم أنت؛ ولكن لا تَقُلْ إلا حقًّا، فلطمها أبو بكر ؓ حتى دمي فوها وقال: أى عدوة نفسها؛ أَوَ يقول غير الحق؟ بل أنت وأبوكِ تقولان الباطل ولا يقول رسول الله ﷺ إلا حقًّا - نصرة لرسول الله ﷺ وغضبًا له - حتى استجارت بالنبى ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبى ﷺ: (لَمْ ندْعُكَ لهذا، ولَمْ نُردْ هَذَا منك)[2].

وقالت له مرة فى كلام: أنت الذى تزعم أنك نبيٌّ، فتبسم رسول الله ﷺ حلمًا وكرمًا[3].

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لعائشة رضي الله عنها: (إنى لأعرفُ غضبَكِ من رِضَاكِ) قالت: وكيف تعرفُ ذلك؟ قال: (إن رضيتِ قلت: لا وربِّ مُحَمَّدٍ، وإذا غضبْتِ قلت:

(١) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢٢٩.

(٢) قوت القلوب لأبى طالب المكى ٢/٢٢٩.

(٣) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٤/٧٢٢.

لا وَربِّ إبرَاهِيم) قالـت: صَـدَقْتَ، إنما أهجرُ اسمكَ[1].

وقد كان ﷺ يمزح مع أزواجه، ويقاربهن فى عقولهن فى المعاملة والأخلاق، وفى الخبر: (كَانَ رسولُ الله ﷺ مِن أفكهِ الناسِ مَعَ نسائِه)[2].

احتمال الهفوات

والصبر على الأذى وحسن العشرة

الزوج مأجور على احتماله هفوات أهله وصبره على أذاهن، ومثاب على حسن عشرتهن، شكا رجل إلى رسول الله ﷺ بذاء امرأته فقال له: (طَلِّقْهَا) فقال: إنى أحبها، قال: (أَمْسِكْهَا إِذَنْ) فخشى عليه تشتت همه بفراقها مع المحبة، وتشتت الهم أعظم من أذى الجسم.

وآخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه، جعل يقول: (الصلاةَ الصلاةَ وما ملكت أيمانكم، لا تُكَلِّفوهم ما لا يطيقون، والله الله فى النساءِ فإنهن عوان فى أيديكم - يعنى أسرى -

(١) صحيح ابن حبان ١٧٤/١٠ ح٤٣٣١، والمعجم الكبير للطبرانى ٤٥/٢٣ ح١٢٠.

(٢) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧٢٣/٤.

أخذتموهن بعهدِ الله، واستحللتُم فروجَهن بكلمة الله)[1]، وسئل ﷺ: ما حقُّ المرأة على الرجل؟ قال: (يُطعمُها إذا طَعِم، ويكسُوها إذا اكتسَى، ولا يضرب الوجهَ، ولا يقبحُ، ولا يَهجرُ إلا فى البيت)[2].

مداعبة الزوجة وملاطفتها

وكان ﷺ يداعب زوجاته ويلاطفهن، وإذا شربت إحداهن أخذ منها الكأس ووضع فمه مكان فمها وشرب، وإذا أكلت أخذ ذلك الطعام الذى أكلت منه فأكل، وذلك نوع من أنواع المداعبة، واعتبر ﷺ رفع اللقمة إلى فم الزوجة صدقة يؤجر عليها، وهذا أيضًا نوع من أنواع المداعبة يجلب الأنس والمودة والمحبة والرحمة بين الزوجين، قال ﷺ: (وإنكَ مهما أنفقتَ من نفقة فإنها صدقةٌ، حتى اللقمةَ التى ترفعُها إلى فِى امرأتِك)[3]، وكان ﷺ ينادى السيدة عائشة بوصف تحبه فيقول: يا

(١) الإحياء للغزالى المجلد الأول، الجزء ٧٢١/٤.

(٢) سنن ابن ماجه ٣٠٣/٣ ح١٨٥٠.

(٣) صحيح البخارى، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس ح٢٧٤٢.

ميراء، والحميراء تصغير حمراء؛ يراد بها البيضاء، قال لها يومًا: (اسكتي يا عائشة، فإني لكِ كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ) أي: أنا لك كأبي زرع في الوفاء والمحبة، فقالت: ا رسولَ الله أنتَ خيرٌ لي من أبي زرع(١).

الرفق بالزوجة في السفر

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره؛ وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: (يا أنجشة، رُوَيدَكَ سوقًا بالقوَارير)(٢)، أي: ارفق بالنساء في سيرك، وقد كَنَّى ﷺ عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة، والنساء يُشبَّهْن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البِنية، وقيل: المعنى سقهن كسَوْقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل.

وكان ﷺ يساعد زوجاته في ركوب الراحلة، فقد ساعد السيدة صفية رضي الله عنها في ركوبها، فعن أنس رضي الله عنه قال: (فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يحوي لها وراءَه بعباءَة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبتَه فتضع صفيةُ رجلَها على

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ٤/٥٨٠ ح٧٦٨٧.

(٢) صحيح مسلم ١١/٤٦٣ ح٤٢٨٧.

ركبتِه حتى تركب)(١).

اللعب والمرح

كان الرسول ﷺ يتلطف مع السيدة عائشة فيسابقها وتسابقه، تقول رضي الله عنها: سابقني رسولُ الله، فسبقتُه، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحمُ سابقَني فسبقَني، فقال: (هَذه بتِلْكَ)(٢)، ويقول ﷺ: (كلُّ شَيْءٍ يلهو به ابنُ آدمَ فهو باطلٌ إلا ثلاثًا: رميةٌ عن قوسه، وتأديبُه فرَسَه، وملاعبته أهْلَهُ، فإنهم من الحقِّ)(٣).

وعن السيدة عائشة قالت: والله لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة على اللهو(٤).

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها ح٢٢٣٥.

(٢) سنن أبي داود ٢/٣٣٤ ح٢٥٨٠.

(٣) مسند أحمد ٢٨/٥٧٣ ح١٧٣٣٧.

(٤) صحيح مسلم ٤/٤١٦ ح١٤٨١.

عند الغضب

قد تمر على الإنسان بعض الأحوال التى تعكر صفوه؛ فيتصرف بانفعال - حتى مع أحب الناس إليه - فينبغى على الطرف الآخر أن يتحمل تلك الانفعالات، وأن يعتبرها أمرًا عابرًا، والزوج مطالَب بحسن الحوار فيما بينه وبين زوجته، وعليه أن يحسن الاستماع إليها، وأن يعطيها الفرصة كى تناقشه وتتبادل معه وجوه الآراء؛ حتى يصلا معًا إلى رأى مقبول فى إطار ما يحب الله تعالى ويرضى.

وقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يتحمل ما يصدر عن زوجاته أثناء غضبهن، ويعالج أمرهن بسهولة ويسر، وقد غضبت السيدة عائشة ذات مرة من النبى ﷺ فقال لها: (هَلْ ترضين أن يحكمَ بيننا أبُو عبيدة بنُ الجَرَّاح؟) فقالت: لا؛ هذا رجل لن يحكم عليك لي، قال: (هَل ترضين بعُمَر؟) قالت: لا؛ أنا أخاف من عمر، قال: (هَل ترضين بأبى بكر - أبيها -؟) قالت: نعم.

وكان النبى ﷺ إذا غضبت زوجته وضع يده على كتفها وقال: (اللَّهُمَّ اغفرْ لهَا ذنبَها، وأذهبْ غيظَ قلبِها، وأعِذْهَا منَ الفِتَن).

وكانت السيدة صفية رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ فى سفر، وكان ذلك يومها، فأبطأت فى المسير، فاستقبلها رسول الله ﷺ وهى تبكى وتقول: حملتنى على بعير بطىء، فجعل رسولُ الله يمسح بيديه عينيها، ويسكتها[١].

وروى أن السيدة صفية رضي الله عنها صَنَعَتْ لرسولِ الله ﷺ طعامًا فبعثَتْ به، فكسرت السيدة عائشة رضي الله عنها الإناءَ؛ فقالت: يا رسولَ الله: ما كفارةُ ما صنعتُ؟ قال: (إناءٌ مثلُ إناء، وطعامٌ مثلُ طعام)[٢]، فلم يعاقب النبى ﷺ السيدة عائشة ولم يعنفها، بل التمس لها العذر، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على حسن خُلقه ﷺ وحلمه وهدوئه فى معالجة المشكلات وتفهمه لطبيعتها.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودى، فبكت، فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى وقالت: قالت لى حفصة: أنت ابنة يهودى، فقال النبىُّ ﷺ: (إنكِ لابنَةُ نَبىٍّ، وإنَّ عمَّك لنَبيٌّ، وإنَّك لَتحْتَ نَبيٍّ، فبِمَ تفتخرُ عليكِ؟، ثم قال: اتَّقِ الله يَا حَفْصَةَ)[٣]، وفى

(١) سنن النسائى الكبرى ٥/٣٦٩ ح٩١٦٢.

(٢) سنن أبى داود ٣/٣٢٢ ح٣٥٧٠.

(٣) سنن الترمذى ٥/٧٠٩ ح٣٨٩٤.

رواية: فقال ﷺ: (ألا قُلْتِ: وكيفَ تكونانِ خيرًا منِّي وزوجِي محمدٌ، وأبِي هارونُ، وعَمِّي مُوسَى)[١].

وهذا التصرف يدل على أن المرء لابد أن يكون واسع الأفق، فطنًا فى معالجة الأمور بامتصاص غضب الطرف الآخر.

روى أن رجلاً جاء إلى عمر ؓ يشكو خُلُق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعًا وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته – وهو أمير المؤمنين – فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه موليًا عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على فسمعتُ زوجتَك كذلك فرجعتُ وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها عليّ: إنها طبّاخة لطعامى، خبّازة لخبزى، غسّالة لثيابى، مرضعة لولدى... وليس ذلك كله بواجب

(١) المعجم الكبير للطبرانى ٧٥/٢٤ ح١٩٦، والمعجم الأوسط للطبرانى ٣١٩/١٨ ح٨٧٤٠.

عليها، ويسكن قلبى بها عن الحرام، فأنا أحتملها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي، قال عمر: فاحتملها يا أخى إنما هى مدة يسيرة.

ولا شك أن ما فعله عمر ؓ وصرح به؛ هو مما تلقاه من هدى النبى ﷺ.

حفظ ما بين الزوجين من أسرار

يقول ﷺ: (إنَّ مِن أشرِّ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامةِ؛ الرجل يُفْضِى إلى امرأتِه وتُفْضِى إليه ثُمَّ ينشرُ سِرَّهَا)[١].

إمهال الزوجة للتزين

عن جابر ؓ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فلما رجعنا ذهبنا لندخل إلى بيوتنا فقال: (أمهِلُوا حتى تدخلوا ليلاً – من أجل أن يصلح النساء أنفسهن – حتى تمتشطَ الشعثة – أي: تسرح شعرها – وتستحدّ المغيبة – أي: تزيل الشعر الزائد فى جسدها–)[٢].

(١) صحيح مسلم ٣٠٥/٧ ح٢٥٩٧.

(٢) صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب الثيبات ح٥٠٧٩.

مِن دَوْرِ أمهات المؤمنين

لقد ضربت السيدة خديجة رضي الله عنها أروع الأمثلة للزوجة الصالحة المخلصة الحكيمة، فلما أن رجع النبي ﷺ يرجف عند بدء نزول الوحي فدخل على أم المؤمنين خديجة وهو يقول: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي) وأخبرها بالخبر؛ فقالت رضي الله عنها وأرضاها: كلا والله لا يخزيك اللهُ أبدًا، إنكَ لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل[1].

ولذلك قال عنها ﷺ للسيدة عائشة: (مَا أَبدَلَنِي اللهُ خيرًا منها، صَدَّقَتْنِي إذْ كذبني الناسُ، وواسَتْنِي بمَالِهَا إذْ حَرمَنِي الناسُ، ورَزَقَنِي اللهُ منها الولدَ إذْ لم يرزقني من غيرها)[2].

والسيدة أم سلمة رضي الله عنها آزرت رسولَ الله ﷺ في أحلك الظروف، فكانت تخرج معه في الكثير من

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا يحيى بن بكير ح٣، وصحيح مسلم ١/٣٨١ ح٢٣١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/١٢ ح٢٢.

الغزوات، ولقد أشارت عليه في صلح الحديبية عندما أمر أصحابه بنحر الهَدْي وحلق الرأس فلم يفعلوا لأنه شق عليهم أن يرجعوا ولم يدخلوا مكة، فدخل في خيمة السيدة أم سلمة، فما كان منها إلا أن جاءت بالرأي الصائب الحكيم فقالت: اخرج يا رسولَ الله فاحلق وانحر، فحلق ونحر، فإذا بأصحابه كلهم يقومون قومة رجل واحد فيحلقوا وينحروا.

التعاون على البر والتقوى

على الزوجين أن يعمرا بيتهما بالإيمان فيقيما فيه صلاة الجماعة؛ يؤم فيها الرجلُ زوجتَه وأبناءَه، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بتلاوة القرآن، وأن يحرص الزوج على تعليم آداب الإسلام لزوجته وأبنائه، ويبين لهم ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق، وأن يسود في البيت التعاونُ على البر والتقوى، قال ﷺ: (رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ بِاللَّيْلِ فَصَلَّى، ثُمَّ أيقظَ أهْلَهُ فَصَلُّوا، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قامَتْ مِن اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثمَّ أيقظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى)[1]، وقال رسول الله ﷺ: (لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم مَقَابِرَ، إنَّ

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٧٢/٢.

الشيطانَ ينفرُ مِن البيتِ الذى تُقْرَأُ فيهِ سُورَةُ البَقَرَة)[1].

فالمأمول من كل زوج وزوجة أن يتأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ؛ وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن، وأسأل الله سبحانه أن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم.

تم بحمد الله

(١) صحيح مسلم ١٨٢/٤ ح١٣٠٠.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
الفصل الثامن: مرحلة المدرسة	٥
الاختلاط ومراقبة الأبناء	٦
الرفق فى المعاملة	٩
من صور التربية	١٠
الفصل التاسع: سوء المعاشرة الزوجية	٢٣
من أسباب الضعف الجنسى عند الرجال	٢٥
من أهم أسباب البرود الجنسى عند المرأة	٢٩
نصائح للزوجين	٣١
الحياة الزوجية سكن ومودة ورحمة وليست حلبة صراع	٣٣

الزوجة سيدة فى بيتها ٣٥
نصيحة إلى الزوجة ٣٦
الزوج سيد فى بيته ٣٩
نصيحة للرجل ٤١
نصيحة للزوجين ٤٢
التدخل الخاطئ للأهل يضعف الروابط الأسرية ٤٢
علاقة أهل الزوج بالزوجة ٤٣
علاقة أهل الزوجة بالزوج ٤٧
نصيحة لأم الزوجة ٤٩
نصيحة لأم الزوج ٥٠
المعاملةُ بين الزوجين فِى ظلِّ قوَامَةِ الرَّجُل ٥١
عدم الإكثار من الخروج والزيارات ٥٣

وجوب اهتمام الزوج بزوجته ٥٤
الحذر من وسائل الإعلام ٥٥
المشاركة فى مواجهة متاعب الحياة ٥٦
الحذر من الغضب ٥٨
على الزوجين أن يتحاورا فيما بينهما ٦٣
علاج المشكلات التى قد تعترى الحياة الزوجية ٦٣
ما يحبه الزوج ٦٤
ما تحبه الزوجة ٦٥
الحياة الزوجية شراكة ورباط ٦٦
علاج النشوز ٦٦
نصيحة للزوجين ٦٩
الفصل العاشر: الطَّلَاقُ وَمَا يَتعَلَّقُ بِهِ مِن حِكَم وَأحكَام ٧٠

أنواع الطلاق ٧٣
شروط الطلاق ٧٤
طلاق الغضبان ٧٥
أقسام الطلاق ٧٥
عدد الطلقات ٧٧
الطلاق وما يترتب عليه من حقوق وواجبات ٨٠
صراع بين الخير والشر ٨١
المطلقة تعتد فى بيت الزوجية ٨٣
النفقة للمعتدة ٨٥
مسكن الزوجية لمن؟ ٨٥
العمل بمحاسن الأخلاق ومكارمها ٨٨
أثر الطلاق على الزوجين والأولاد ٨٩

المرأة المطلقة بين التحدى واليأس ٩٠
نصيحة إلى الأخت المطلقة ٩٤
نصيحة للزوج ٩٧
الطلاق يسعد إبليس ٩٨
من آثار الطلاق على الأبناء ٩٩
من أهم ما يطالَب به الوالدان تجاه أبنائهما بعد الطلاق ١٠١
الأبناء والزواج الثانى ١٠٥
الخاتمة: من حسن معاملة المصطفى ﷺ
وجميل خلقه مع زوجاته ١٠٨
من أخلاقه ﷺ ١٠٩
من رفقه ﷺ بزوجاته ١١٠
احتمال الهفوات والصبر على الأذى وحسن العشرة ١١٢

مداعبة الزوجة وملاطفتها ١١٣

الرفق بالزوجة فى السفر ١١٤

اللعب والمرح ١١٥

عند الغضب ١١٦

حفظ ما بين الزوجين من أسرار ١١٩

إمهال الزوجة للتزين ١١٩

مِن دَوْرِ أمهات المؤمنين ١٢٠

التعاون على البر والتقوى ١٢١

فهرس الكتاب ١٢٣